International Journal of Humanities and Educational Research
Volume 2, Issue 4, December 2020, p.61-93
İstanbul / Türkiye

THE TECHNIQUES OF SELECTION AND AESTHETICS OF ECART IN THE NOBLE QUR'AN - SEMANTIC STUDY

http://dx.doi.org/10.47832/2757-5403.4-2.4

AHMED AL–ZUBAIDY [1]

ISSN: 2757-5403

Article Information

Article History:
Received
03/11/2020
Accepted
17/11/2020
Available online
01/12/2020

This article has been scanned by **iThenticat**
No plagiarism detected

Copyright © Published by Rimak Journal, www.rimakjournal.com

Rimar Academy, Fatih, Istanbul, 34093 Turkey
All rights reserved

Abstract

The research touched upon that the Qur'an is an intentional rhetoric expression. That is, every word and every letter in it has an intentional position, and that the word in it is like an organ in the human body and it performs its function when it is in its position, and if it is removed to another location. Body changes! Therefore, we find that it has been selected with extreme precision and wisdom, so that no other words or expressions else can take the place in which it is located. No matter how many lexicons, language books, or exegesis gather a number - less or more - of alternative, approximate synonyms, and that the alternative equivalent has the same meaning still impossible for these alternatives to play and reflect the same sense and aesthetics of the original Quranic words. The words were determined according to their meanings, and every type of those words that are included in the context of speech has its own role. The Quran's words are worthy and more deserving of use, called for the finite accuracy of the expression and the extreme precision to the extent that it is impossible to replace its original words with proposal alternatives that may distort meanings among the possibilities, and the intentions and purposes are lost in the aberration of doubt and camouflage This is due to the subtle differences between the words in their connotations.

Keywords: QUR'AN, language, Quranic words

[1] Assist. Prof. Dr. Ahmed Ali Niimaa AL–ZUBAIDY, College of Arts, Iraqia University, Iraq. mujamart@gmail.com

فنيات الاختيار وجماليات العدول في القرآن الكريم - دراسة دلالية

أحمد الزبيدي [2]

ملخص

تطرق البحث إلى بيان أن القرآن تعبير بياني مقصود؛ أي إن كل كلمة، وكل حرف فيه وضع وضعاً مقصوداً، وإن الكلمة فيه أشبه بالعضو في جسم الإنسان وهو يؤدي وظيفته عندما يكون في موضعه، فإذا زايله إلى موضع آخر؛ تغير حال الجسم! لذا نجدها قد انتقيت بدقة متناهية وحكمة بالغة بما لا يسد مسدها غيرها في الموضع الذي وردت فيه؛ مهما حشدت المعجمات وكتب اللغة أو التفسير عدداً – قل أو كثر – من الكلمات البديلة المقاربة، وأن اللفظ والمعنى فيه مرادان معاً؛ فلا يطغى أحدهما على الآخر؛ فكانت ألفاظه طبقاً لمعانيه، ووضع كل نوع من تلك الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص به، الذي إذا بدل مكانه غيره؛ جاء منه تبدل المعنى وذهاب الرونق؛ ذلك أن فيه ألفاظاً متقاربة في المعنى، يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب، والأمر فيها وفي ترتيبها بخلاف ذلك؛ فتحرى في ألفاظه وتعبيراته كل ما هو أحق بالذكر، وأولى بالاستعمال، ودعا إلى الدقة المتناهية في التعبير، وإلى الإحكام البالغ فيه؛ حتى لا يصح أن يقع لفظ مكان آخر؛ فتضل المعاني بين الاحتمالات، وتتوه المقاصد والأغراض في ضلال الشك والتمويه؛ وذلك لما بين الألفاظ من فروق دقيقة في دلالاتها.

الكلمات المفتاحية: ألفاظ، معاني، دلالة، بلاغة، اختيار، عدول، ترادف، تقارب، تبادل، تفسير، جمال، فن، سر.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، أنزل خير كتبه على خير رسله، وجعله بلسان عربي مبين، وصلوات ربي وسلامه على النبي العربي الأمي الأمين، وعلى الآل والصحب أجمعين، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد.

فكل كتاب يرثُّ كلامه بكثرة البحث فيه، وتذوي الأفكار منه، وينضب عطاؤه، إلا هذا الكتاب الكريم، كلما قرأناه؛ ألفينا أنفسنا غير التي كانت بالأمس تقرأ! والقرآن هو هو، وما تلقاه قارؤه المتدبر اليوم غير ما فُتح له منه بالأمس، وإنا لا نجد غيره يمنحنا هذا وأكثر من هذا، ويؤتينا كل يوم تصوراً جديداً؛ حتى لكأننا نقرأ في كل مرة أول مرة، وحين نقرأه سبعين مرة؛ نكون كمن قرأ سبعين كتاباً، ومن يستزد؛ يُزَد!

[2] أستاذ مساعد دكتور: أحمد علي نعمة الزبيدي، كلية الآداب (قسم علوم القرآن)، الجامعة العراقية، العراق. mujamart@gmail.com

إنّ القرآن الكريم كنز يستفتحه وينقب عنه أهل كل عصر بأدواتهم ليغترفوا منه ما تسنى لهم من معينه، وهو كريم كلما آستثير؛ أعطى، وكلما سئل؛ وهب، وفي ذلك يقول آبن مسعود رضي الله عنه: (من أراد العلم؛ فليثور القرآن؛ فإن فيه علم الأولين والآخرين)!

ومن وجوه إعجازه: أن يظل مشغلة العلماء والدارسين جيلاً بعد جيل، ثم يبقى أبداً رحب الآفاق والمدى، سخي المورد والمأتى؛ فما آنفك العلماء يُشمِّرون عن سواعد الجد والاجتهاد بتنميق العبارات ووشي الأسفار وتأليف العلوم فيه؛ في سعي منهم لبلوغ معانيه وأسراره، وإدناء البعيد منها، وتجلية المبهم، وفتح المستغلق، وكل منهم يبذل من الجهد ما وسعه، وسيظلون في فلكه دائرين، وعلى دربه سائرين، ومن شواطئه لا أغواره مغترفين!

لقد يمَّم العلماء صوب هذا الكتاب الكريم بحثاً وتأملاً، ولم يدخروا في ذلك جهداً إلا بذلوه ولا سبيلاً إلا سلكوها، ولكوني من خلف أولئك السلف؛ فقد آليت على نفسي الالتحاق بالركب بغية إدراكه؛ فحططت رحالي على واحدة من أخصب واحاته لأتملَّى في مرآها، وأتنسم عبير شذاها، وأتقلب بين مائها ومرعاها؛ تلك هي ظاهرة «الاختيار والعدول» في القرآن الكريم. وقد تطلَّبت طبيعة البحث ومنهجيته أن يقوم على مبحثين وخاتمة تكتنف أهم النتائج التي توصلت إليها، يتلوها ثبت بأهم المظان التي أفدت منها في إثراء المادة العلمية للبحث.

المبحث الأول: القرآن تعبير بياني مقصود

لا بد في البدء من معرفة أنّ الأصل في وضع الألفاظ في سائر اللغات هو أن يكون لكل معنى يجول في الخاطر لفظ واحد يعبر عنه؛ أي أن يكون للفكرة الواحدة لفظة واحدة، وأن يكون للكلمة الواحدة معنى واحد أيضاً، وأن الخلط والاضطراب يتأتى من مجرد أن يوجد لفظان فأكثر لمعنى واحد أو متقارب، أو معنيان فأكثر للفظ واحد؛ وإن كانت اللغات جميعاً لا تنجو من هذه الإصابة؛ نتيجة الظروف الناشئة في اللغات، والتي تؤدي بدورها إلى تعدد الألفاظ لمعنى واحد أو متقارب، أو تعدد المعاني للفظ واحد[3].

إنّ اللغة السامية تتصف بظواهر خاصة في دلالة المفردات تميزها عن سائر اللغات الأخرى، وقد تناسلت فروع الساميات؛ فالعربية والعبرية والسريانية وغيرها قد توارثت تلك الصفات؛ بيد أنها ظهرت فيها بنسب متفاوتة! فمن المعروف أن ثمة أنواعاً ثلاثة من دلالات الألفاظ، منها: أن يختلف اللفظ ويتفق المعنى؛ ولكن دلالتها جميعاً تكون واحدة، ومنها أن يتفق اللفظ ويختلف المعنى، ومنها أن يتفقا معاً، أو أن يختلفا معاً[4].

فقد تتوالى الألفاظ المفردة الدالة والمتواردة على معنى واحد، باعتبار واحد؛ كـ«الإنسان والبشر»[5]، و«القمح، والبر، والحنطة»؛ فـ«البر» يستعمله أهل العراق؛ في حين يطلق عليه أهل مصر آسم «القمح»، وهو

[3] ينظر: فصول في فقه العربية/ ص308، وكلام العرب – من قضايا العربية/ ص102.

[4] ينظر: فقه اللغة وسر العربية/ ص1، والعربية والبحث اللغوي المعاصر/ ص 28، وأبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية/ ص226، وبحوث في المعجمية العربية/ ص210، ولغة الضاد/ ص90.

[5] ينظر: المزهر (1/ 402).

«الحنطة» عند أهل مكة[6]. ويعد المبرد من كلام العرب: (آختلاف اللفظين والمعنى واحد؛ مثل: «ظننت وحسبت»، و«ذراع وساعد»، و«أنف ومرسن»)[7]، ويقول الإمام الشافعي: (وتسمي العرب الشيء الواحد بالأسماء الكثيرة، وتسمي بالاسم الواحد المعاني الكثيرة، وإن ذلك من سنن العرب)[8]؛ مثل: «معلم»، و«مدرس»، و«مؤدب»، و«أستاذ»، و«مرب»، ومثل: «أسهب، وأطنب، وأفرط، وأسرف، وأغرق»...[9]؛ فلا بد من وجود قانون واضح، وقصد دلالي لاختيار واحد من تلك الألفاظ في موطن والعدول فيه عن سائرها، ويمكننا أن نطلق على هذا القانون الفني المسنون آسم: «الاختيار والعدول»، وهي ظاهرة ملاحظة بوضوح في لغة العرب عموماً، وفي لغة القرآن على نحو خاص.

وإزاء تلك الظاهرة اللغوية الفنية؛ ما كان للعلماء المتخصصين والدراسات والكتب والأبحاث المعدة بهذا الشأن سوى التعقب والاستقصاء لمعظم الألفاظ التي تم اختيارها، وتعليل ذلك الاختيار وبيان أسبابه، وتلك التي تم العدول عنها، وتعليل ذلك العدول وبيان أسبابه؛ إن لم يكن هذا التعقب وذاك الاستقصاء قد طال الألفاظ جميعاً؛ ولا سيما القرآنية منها[10].

لقد ألفينا ثلة من العلماء المتخصصين قدامى ومحدثين يلتمسون فروقاً دقيقة بين معاني الكلمات؛ الأمر الذي حدا ببعضهم إلى القول بامتياز اللغة العربية بوفرة كلماتها وتعدد ألفاظها في المعنى الواحد أو المعاني المتقاربة، وليس معنى ذلك أن هذه الكلمات كلها تدل على هذا المعنى الواحد بلا فروق يلاحظها المتكلم أو السامع، لا؛ بل إن بين هذه الألفاظ فروقاً دقيقة في الدلالة، وتفاوتاً يلاحظ في المعنى[11].

وبعبارة أخرى؛ فإن في الكلام العربي ألفاظاً يحسها أكثر الناس متساوية في بيان المراد، كـ«الحمد»، و«الشكر»، وغيرهما كثير؛ بيد أن لكل لفظة خاصية تميزها عن أختها التي تقاربها في بعض المعنى، أو تشترك معها في بعض الدلالة[12]، وسيأتي بيان الفرق بينهما في معرض تناولنا للأمثلة والشواهد التفصيلية في المبحث التالي بإذن الله.

وقد عني علماؤنا الأجلاء ببيان الفروق بين الكلمات المتقاربة المعنى، والتعابير المتشابهة الدلالة، ومن بين هؤلاء: الخطابي، الذي يؤكد أن من دقائق التركيب وأسس البلاغة: (وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به، الذي إذا بدل مكانه غيره؛ جاء منه إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة؛ ذلك أن في الكلام ألفاظاً متقاربة

---

[6] ينظر: علم أصول الفقه/ ص32.

[7] ما آتفق لفظه وآختلف معناه/ ص2.

[8] الرسالة/ ص32.

[9] ينظر: المشترك اللغوي – نظرية وتطبيقاً/ ص29، وبحوث في المعجمية العربية/ ص210.

[10] ينظر: الخصائص (1/ 262)، والمزهر (1/ 402– 405)، ودور الكلمة في اللغة/ ص109، وتاريخ علوم اللغة العربية/ ص33، ودلالة الألفاظ/ ص213، وعلم اللغة، للضامن/ ص78، وفقه اللغة، له/ ص62، وفصول في فقه العربية/ ص308، واللغة كائن حي/ ص60، واللهجات العربية/ ص98، وفي اللهجات العربية/ ص402، والمشترك اللغوي – نظرية وتطبيقاً/ ص217.

[11] ينظر: صفاء الكلمة/ ص60.

[12] ينظر: المرجع نفسه/ ص63.

في المعنى، يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب؛ كـ«العلم والمعرفة»، و«الحمد والشكر»، و«البخل والشح»، و«النعت والصفة»، وكقولك: «آقعد وآجلس»، و«بلى ونعم»، و«ذلك وذاك»، و«من وعن»... ونحوها من الأسماء والأفعال والحروف والصفات... والأمر فيها وفي ترتيبها عند علماء اللغة بخلاف ذلك؛ لأن لكل لفظة منها خاصية تتميز بها عن صاحبتها في بعض معانيها، وإن كانا قد يشتركان في بعضها)[13].

ولأبي هلال العسكري كتاب في ذلك سماه: «الفروق اللغوية»، وكذا الحال بالنسبة لأبي علي الفارسي، والمبرد، وأبي منصور الثعالبي، في «فقه اللغة»، وآبن فارس في «الصاحبي في فقه اللغة».... إلخ! وللعلامة اللغوي الكبير أبي طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي تفسير قيم في ذلك، جاء بعنوان: «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز»، رتب فيه الألفاظ ترتيباً معجمياً؛ فجاء على شكل أبواب، بيَّن في كل باب منها الوجوه اللغوية والتفسيرية والفروق الدلالية بين الكلمات المفتتحة بكل حرف من حروف اللغة الثمانية والعشرين؛ وجاء كل باب بدوره على شكل حزمة من «البصائر» المبينة للعلاقات اللغوية الأسرية لألفاظ ذلك «الباب»!

جاء في «المزهر» أن الشيخ القاضي أبا بكر آبن العربي حكى بسنده عن أبي علي الفارسي، قال: كنت بمجلس سيف الدولة بحلب، وبحضرته جماعة من علماء اللغة، وفيهم آبن خالويه؛ فقال: أحفظ لـ«السيف» خمسين آسماً؛ فتبسم أبو علي، وقال: ما أحفظ له إلا آسماً واحداً؛ وهو «السيف»! قال آبن خالويه: فأين «المهند»، و«الصارم»، و«البتار» وكذا، وكذا؟! فقال أبو علي: هذه صفات؛ وكأن الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة[14]!

والحق أن أكثر الألفاظ التي يقال أنها متواطئة على معنى واحد هي – في الواقع – ليست كذلك؛ فإذا ما أنعمنا النظر فيها؛ تبين لنا أن كل لفظ منها يدل على معنى يختلف – ولو قليلاً – عما يدل عليه الآخر. فإذا أخذنا – على سبيل المثال – لفظي «الشك والريب»؛ نجد أن الجمهور يفسرون أحدهما بالآخر؛ فيقولون في تفسير أمثال قوله تعالى: (ذلك الكتاب لا ريب فيه) [البقرة/ 2]، و(إنهم كانوا في شك مريب) [سبأ/ 54]: لا شك فيه؛ مع أن بين معنييهما آختلافاً بيناً؛ فـ«الشك» يدل على مجرد التردد بين أمرين لا يترجح أحدهما على الآخر. في حين إن «الريب» يدل على القلق والاضطراب في النفس متولدين من التردد الذي يدل عليه الشك. فـ«الريب»: شك مصحوب بقلق وآضطراب؛ ومن ثم يقال: هو في شك مريب؛ أي: مقلق، مزعج. ويقال: هو في ريب مشكك! وعلى هذا؛ لا بد أن يُسبق الريب بالشك، ولا عكس[15].

وما قيل عن «الشك والريب» يقال كذلك عن «القعود والجلوس» من حيث العموم؛ إذ إنها من الألفاظ التي يظن أنها بمعنى واحد، وليس الأمر كذلك؛ فنقول: قعد؛ إذا كان بعد قيام، ونقول: جلس؛ إذا كان بعد

[13] بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن/ ص26، وينظر: الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية/ ص72– 73.

[14] ينظر: المزهر (1/ 126)، وتاريخ علوم اللغة العربية/ ص34، ومن أسرار العربية في البيان القرآني/ ص36.

[15] ينظر: تاريخ علوم اللغة العربية/ ص34– 35.

آضطجاع[16]؛ فالقعود في اللغة: ضد القيام، يقال: كان واقفاً؛ فقعد، وكان مضطجعاً؛ فجلس[17]. والذين يقولون بظاهرة «الاختيار» لبعض الألفاظ في مواطن، و«العدول» عن بعضها في مواطن أخرى؛ يفرقون بين معاني الألفاظ؛ فيقولون مثلاً: «جلس وقعد» يختلفان بعض الاختلاف؛ لأن في «قعد» معنى ليس في «جلس»! ألا ترى أنا نقول: قام ثم قعد، ثم نقول: كان مضطجعاً فجلس؛ فيكون «القعود» عن قيام، و«الجلوس» عن حالة دون الجلوس[18]؛ وبذا كانت قضية «الاختيار والعدول» والعوامل الدلالية الكامنة وراءها جزءاً مهماً من شغل العلماء الشاغل قديماً وحديثاً.

كان – فيما تقدم – خلاصة موجزة عن تلك الظاهرة؛ فلا يوجد في القرآن تطابق معنوي تام؛ بل تقارب وتكامل في المعنى؛ وذلك لسبب من الخطورة بمكان؛ وهو أن القرآن الحكيم – كما سنأتي إلى ذكره لاحقاً إن شاء الله تعالى – قد تحرى في ألفاظه وتعبيراته كل ما هو أحق بالذكر، وأولى بالاستعمال، ودعا إلى الدقة في التعبير والإحكام فيه؛ حتى لا يصح أن يقع لفظ مكان آخر؛ فتضل المعاني بين الاحتمالات، وتتوه المقاصد والأغراض في ضلال الشك والتمويه؛ وذلك لما بين الألفاظ من فروق دقيقة في دلالاتها! فيستخدم كل كلمة بدقة متناهية؛ بحيث تؤدي معناها المراد في إحكام شديد، يكاد السامع يؤمن بأن هذا المكان خلقت له هذه الكلمة بعينها، وأن كلمة أخرى لا تؤدي المعنى الذي أفادته أختها. وأنه (تعبير بياني مقصود؛ أي أن كل كلمة، وكل حرف فيه وضع وضعاً مقصوداً)[19]، وأن الكلمة فيه أشبه بالعضو في جسم الإنسان وهو يؤدي وظيفته عندما يكون في موضعه، فإذا زايله إلى آخر؛ تغير حال الجسم، وآعتل، وآختل توازنه!

بهذا المقياس الحكيم، والقسطاس المستقيم كانت كلمات القرآن الكريم طبقاً لمعانيه؛ بحيث آسترعت ألفاظه وفصاحته أنظار العلماء! وهكذا دائماً: لكل مقام مقال في التعبير القرآني. ومن الأمثلة لتلك الظاهرة في القرآن الكريم الآتي[20]:

1. «الإيثار والتفضيل»: (قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين) [يوسف/ 91]، (وأني فضلتكم على العالمين) [البقرة/ 47].
2. «الحضور والمجيء»: (حضر أحدكم الموت) [البقرة/ 180]، (جاء أحدكم الموت) [الأنعام/ 61].
3. «البعث والإرسال»: (بعث فيهم رسولاً) [آل عمران/ 164]، (فأرسلنا فيهم رسولاً) [المؤمنون/ 32].
4. «البلد والقرية»: (لا أقسم بهذا البلد* وأنت حل بهذا البلد) [البلد/ 1–2]، (وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك) [محمد/ 13].

---

[16] ينظر: الأضداد في اللغة/ ص42.

[17] ينظر: لسان العرب – مادة: «ق ع د» (3/ 357)، والمزهر (1/ 404).

[18] ينظر: في اللهجات العربية/ 176، من أسرار العربية في البيان القرآني/ ص37، ومقدمة الصحاح/ ص10.

[19] أسرار البيان في التعبير القرآني/ ص1.

[20] ينظر: الإتقان في علوم القرآن (1/ 310)، والتفسير والمفسرون (1/ 279)، وقواعد التفسير – جمعاً ودراسة (1/ 461– 470)، وفي اللهجات العربية/ ص179– 180.

5. «النار والجحيم»: (ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين) [آل عمران/ 151]، (فإن الجحيم هي المأوى]) [النازعات/ 39].
6. «الأسى والحزن»: (فلا تأس على القوم الفاسقين) [المائدة/ 26]، (ولا تحزن عليهم) [النحل/ 127].
7. «القسم والحلف»: (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) [الأنعام/ 109]، (ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً) [النساء/ 62].
8. «البارئ والخالق»: (فتوبوا إلى بارئكم) [البقرة/ 54]، (قل الله خالق كل شيء) [الرعد/ 16].
9. (لا تخاف دركاً ولا تخشى) [طه/ 77].
10. (لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً) [طه/ 107].
11. (فلا يخاف ظلماً ولا هضماً) [طه/ 112].
12. (ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم) [التوبة/ 78].
13. (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً) [المائدة/ 48].
14. (لا تبقي ولا تذر) [المدثر/ 28].
15. (وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا) [الأحزاب/ 67].
16. (عذراً أو نذراً) [المرسلات/ 6].
17. (لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب) [فاطر/ 35].
18. (ويل لكل همزة لمزة) [الهمزة/ 1].
19. (فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة) [المائدة/ 14].
20. (وجعلنا في قلوب الذين ٱتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ٱبتدعوها) [الحديد/ 27].
21. (والصابرين في البأساء والضراء) [البقرة/ 177].
22. (ومن يكسب خطيئة أو إثماً) [النساء/ 112].
23. (وليعفوا وليصفحوا) [النور/ 22].
24. (إن الله لعفو غفور) [الحج/ 60].
25. (إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون) [المؤمنون/ 57].
26. (وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو) [الأنعام/ 32].
27. ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء) [البقرة/ 171]؛ فـ«النداء» هو رفع الصوت بما له معنى. أما «الدعاء»؛ فيكون برفع الصوت وخفضه، يقال: دعوته من بعيد، ودعوت الله في نفسي، ولا يقال: ناديته في نفسي.
28. (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) [البقرة/ 157]؛ فـ«الصلاة» هنا بمعنى: ثناء الله تعالى على عبده في الملأ الأعلى، و«الرحمة» معروفة، ولا تفسر الصلاة هنا بمعنى: الرحمة!

29. (فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً) [النساء/ 4]؛ فـ«الهنيء»: الخالص من كل كدر، و«المريء»: المحمود العاقبة.
30. (فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما ٱستكانوا) [آل عمران/ 146]؛ فـ«الوهن»: أن يفعل الإنسان فعل الضعيف، أو هو ٱنكسار الحد، والخوف ونحوه، و«الضعف»: نقصان القوة. أما «الاستكانة»؛ فهي إظهار الضعف!
31. (قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله) [يوسف/ 86]؛ فـ«الحزن»: غلظ الهم، و«البث»: يفيد معنى زائداً؛ وهو أنه ينبث ولا ينكتم؛ من قولك: أبثثته ما عندي، وبثثته؛ إذا أعلمته إياه!
32. (إنهم كانوا في شك مريب) [سبأ/ 54]، والفرق بين «الشك»، و«الريب» هو أن الريب شك مع تهمة[21].

وقال تعالى: (فاعفوا وٱصفحوا حتى يأتي الله بأمره) [البقرة/ 109]، قال الراغب الأصفهاني في «المفردات»: («الصفح»: ترك التثريب، وهو أبلغ من العفو، وقد يعفو الإنسان ولا يصفح!)[22]، وقال البيضاوي في تفسيره: («العفو»: ترك عقوبة المذنب، و«الصفح»: ترك لومه)[23]، وجاء في «الفروق اللغوية» لأبي هلال العسكري: («الفرق بين العفو والصفح»: هما بمعنى في اللغة، ويدل عليه قوله عز وجل: (فاعفوا وٱصفحوا) ترقياً في الأمر بمكارم الأخلاق من الحسن إلى الأحسن، ومن الفضل إلى الأفضل)[24].

يقول الدكتور صبحي الصالح: ((لقد أتاح لهذه اللغة طول ٱحتكاكها باللهجات العربية الأخرى ٱقتباس مفردات تملك أحياناً نظائرها، ولا تملك منها شيئاً أحياناً أخرى، حتى إذا أصبحت جزءاً من محصولها اللغوي؛ فلا غضاضة أن يستعمل القرآن الألفاظ الجديدة المقتبسة إلى جانب الألفاظ القرشية الخالصة القديمة؛ وبهذا نفسر «أقسم وحلف» في قوله عز وجل: (وأقسموا بالله جهد أيمانهم...) [الأنعام/ 109]، وقوله سبحانه: (يحلفون بالله ما قالوا) [التوبة/ 74]، و«بعث وأرسل» في قوله تعالى: (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً) [الإسراء/ 15]، وقوله جل وعلا: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) [الأنبياء/ 107]، و«فضل وآثر» في قوله سبحانه: (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) [البقرة/ 253]، وقوله تعالى على لسان إخوة يوسف له: (تالله لقد آثرك الله علينا) [يوسف/ 91]. فقريش كانت تستعمل في بيئتها اللغوية الخاصة أحد اللفظين في هذه الأمثلة الثلاثة؛ وإنما ٱكتسبت اللفظ الآخر من ٱحتكاكها بلهجة أخرى لها بيئتها اللغوية

---

[21] ينظر: قواعد التفسير – جمعاً ودراسة (1/ 467– 469)، وكلام العرب – من قضايا العربية/ ص106، وأمثلة ذلك كثيرة في «الفروق اللغوية، للشايع»، ينظر: ص213 إلى آخر الكتاب.

[22] (1/ 372).

[23] أنوار التنزيل وأسرار التأويل (1/ 148).

[24] (1/ 362)، وينظر: قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل «المثال الثاني – حول مراتب التجاوز عن السيئات»، ص438، يقول الميداني بعدما أورد بهذا الصدد خمساً من الصيغ القرآنية التي يبدو أنها مترادفة، وهي ليست كذلك: (لا يصح تفسير بعض هذه الألفاظ ببعض دون تجوز؛ إذ هي ليست مترادفات؛ إنما هي مراتب، بعضها أعلى من بعض، وبعضها أخص من بعض؛ لما فيها من معان زائدة).

المستقلة! وهكذا لم نجد مناصاً من الاعتراف بالفروق بين الألفاظ؛ ولكن هذه الفروق – على ما يبدو لنا – تنوسيت فيما بعد، وأصبح من حق اللغة التي ضمتها إليها أن تعدها ملكاً لها، ودليلاً على ثرائها)[25].

ومن المصطلحات القرآنية الأخرى التي تتوارد فيها ظاهرة «الاختيار والعدول»: «بعث، وأرسل»، و«حلف، وأقسم»، و((أبو هلال العسكري في «الفروق اللغوية» حاول أن يفرق بين «القسم، والحلف» بأن «القسم» أبلغ من «الحلف»؛ لعلة ذكرها[26]...)[27].

صفوة القول في تلك الألفاظ والتراكيب القرآنية المتقاربة التي يتوهم فيها التطابق المعنوي التام وهي ليست كذلك، والمخرج السليم من ذلك الخلط والاشتباه والوهم هو (أن الشيئين إذا خلطا؛ حدث لهما حكم ومعنى لم يكن لهما قبل أن يمتزجا)[28]، وأن من الجمال في الأدب التنويع في التعبير[29]. وفي هاتين القاعدتين رفع لتوهم التكرار حين العطف؛ لأنّ التركيب يحدث معنى زائداً. وإذا كانت كثرة الحروف تفيد زيادة المعنى؛ فكذلك كثرة الألفاظ. ففي أسماء الله الحسنى: («الغني»، و«الملك»؛ فإن «الغني»: هو الذي لا يحتاج إلى شيء، و«الملك» أيضاً: هو الذي لا يحتاج إلى شيء، ويحتاج إليه كل شيء؛ فيكون «الملك» مفيداً معنى الغنى وزيادة! وكذلك: «العليم»، و«الخبير»؛ فإن «العليم» يدل على العلم فقط، و«الخبير» يدل على علمه بالأمور الباطنة، وهذا القدر من التفاوت يخرج الأسامي عن أن تكون مترادفة، وتكون من جنس «السيف»، و«المهند»، و«الصارم»، لا من جنس «الأسد»، و«الليث»... وكذلك «الجليل» غير «الكبير»، و«العظيم»؛ فإن «الجلال» يشير إلى صفات الشرف؛ ولذلك لا يقال: «فلان أجل سناً من فلان»، ويقال: «أكبر»، ويقال: «العرش أعظم من الإنسان»، ولا يقال: «أجل من الإنسان»... فهذه الأسامي وإن كانت متقاربة المعاني؛ فليست مترادفة!)[30].

إن كلمات توائم؛ مثل: «الدين والخلق»، و«الرحمة والرأفة»، و«البر والتقوى»، و«الإسلام والإيمان»... إلخ، قد نجد بينها في الاستعمال اللغوي من التواشج والتداخل في الدلالة تارة، والتباعد والتمايز أخرى؛ ما يجعلها في شبه مد وجزر، وعطاء وأخذ، ويجعل من العسير تحديد المراد من كل منها بصفة دقيقة وحاسمة؛ إلا أنه يلوح لنا من بين آفاقها ومدياتها المنظورة أن تلك الكلمات لا تزال تخضع في آستعمالها للقاعدة المعروفة

---

[25] دراسات في فقه اللغة/ ص299– 300 بتصرف طفيف.

[26] تلك العلة هي قوله: ((لأن معنى قولنا: «أقسم بالله» أنه صار ذا قسم بالله، والقسم: النصيب. والمراد أن الذي أقسم عليه من المال وغيره قد أحرزه ودفع عنه الخصم بالله، والحلف من قولك: «سيف حليف»؛ أي: قاطع، ماض، فإذا قلت: «حلف بالله»؛ فكأنك قلت: «قطع المخاصمة بالله»! فالأول أبلغ؛ لأنه يتضمن معنى الآخر، مع دفع الخصم؛ ففيه معنيان. وقولنا: «حلف» يفيد معنى واحداً؛ وهو قطع المخاصمة فقط؛ وذلك أن من أحرز الشيء باستحقاق في الظاهر؛ فلا خصومة بينه وبين أحد فيه، وليس كل من دفع الخصومة في الشيء؛ فقد أحرزه. واليمين آسم للقسم مستعار؛ وذلك أنهم كانوا إذا تقاسموا على شيء؛ تصافقوا بأيمانهم، ثم كثر ذلك؛ حتى سمي القسم يميناً)) [الفروق اللغوية (1/ 429)].

[27] فصول في فقه العربية/ ص317.

[28] لسان العرب (13/ 392)، وينظر: مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية/ ص15، والبرهان في علوم القرآن (2/ 472– 477)، والإتقان في علوم القرآن (1/ 310)، والكليات/ ص315، والتفسير والمفسرون (1/ 279)، وقواعد التفسير – جمعاً ودراسة (1/ 470).

[29] ينظر: قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل/ ص126.

[30] المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى/ ص40– 42.

في الكلمات العربية المنحدرة من أسرة واحدة. وفي تناسب أخاذ، فيه من الطرد والعكس معاً بنت علاقاتها الدلالية؛ فكلما آجتمعت تلك الكلمات التوائم أو غيرها في العبارة؛ آفترقت في المعنى، وكلما آفترقت في العبارة؛ آجتمعت أو مالت إلى الاجتماع في المعنى بقدر الإمكان! فإذا قلنا: «فلان ذو دين وخلق»؛ وجب – كي تخلو العبارة من عيب التكرار والحشو – أن تؤدي كل كلمة منهما معنى مستقلاً عن معنى الكلمة الأخرى؛ فيختص «الدين» بالإيمان والتقوى الخاصة؛ بمعنى: القيام بفرائض العبادة. في حين يكون معنى «الخلق» خاصاً بالتحلي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل الاجتماعية. أما إذا آكتفينا بإيراد إحدى الكلمتين دون الأخرى؛ فقلنا: «فلان ذو دين»، أو: «فلان ذو خلق» فقط؛ فإن مفهوم كل واحدة من الكلمتين – على حدة – يمكن أن يتسع لمعنى الأخرى ويشمله؛ ولا سيما إذا كان المقصود بـ«الدين»: أحد الأديان الخلقية المعروفة، وكان المقصود بـ«الأخلاق»: الأخلاق المتواضع عليها؛ وهي الجامعة للحقوق الإلهية والإنسانية معاً[31].

فـ(مهما أمكن إبعاد فكرة «الترادف» عن الكلمات القرآنية؛ فهو الأحق بأن يكون المنهج لدى تدبر القرآن الكريم، والأقرب إلى الفهم الصحيح؛ ولو كانت الكلمات داخلة في معنى كلي واحد؛ إلا أنه معنى كلي عام صالح لنسب متفاوتة، وبإبعاد فكرة «الترادف» قد يكشف المتدبر لكتاب الله المستويات النسبية للموضوع الواحد، والدرجات التي يقصد الإشارة إليها. وقد يظهر له بعض أغراض تكرير الفكرة في مواضع مختلفة. فقد يأتي في القرآن آختيار كلمة في موضع، ثم قد يأتي آختيار مرادف لها في موضع آخر، أو آختيار كلمة مقاربة لها في المعنى في موضع آخر! ولما كان القرآن الكريم في قمة الإعجاز؛ كان على المتدبر له أن يتفكر في سر آختيار كل من الكلمات المترادفة أو المتقاربة، ووضعها في الموضع الذي آستعملت فيه دون الأخرى؛ فمن شأن التفكر والبحث أن يهدي بعض المتفكرين الباحثين إلى سر ذلك؛ ولو بعد حين من الدهر)[32].

لقد كان القرآن الكريم في ذلك المثل الأعلى الذي يحتذى به؛ إذ فرق بين المترادفات وفصل بينها بما لا يكاد اللبيب الفطن يدركه[33]، كما دعا إلى الدقة في التعبير، وإلى الإحكام فيه؛ حتى لا يصح أن يقع لفظ مكان آخر؛ فتضل معاني الألفاظ بين الاحتمالات، وتتوه المقاصد والأغراض في ضلال الشك والتمويه؛ فقال ﷻ: (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) [الحجرات/ 14]؛ فقد نبه إلى أن يلتزم الأعراب الدقة وتوخي الحذر في التعبير؛ فيقولوا: «أسلمنا» بدلاً من «آمنا»؛ كيما تقع الكلمة على معناها الحقيقي المراد دونما سواه من المعاني[34].

---

[31] ينظر: الدين – بحوث ممهدة لدراسة الأديان والمذاهب/ ص55– 58، والأديان الوضعية في مصادرها المقدسة وموقف الإسلام منها/ ص38– 39.

[32] قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل/ ص435.

[33] ينظر: صفاء الكلمة/ ص64.

[34] ينظر: المرجع نفسه/ ص8.

كما كان اليهود ينادون رسول الله ﷺ بـ«راعنا» على سبيل التهكم به والاستخفاف بشأنه، ويعنون بها سبه – بأبي هو وأمي – بالرعونة والسفه والخفة والطيش، ويوهمونه أنهم يقولون: «راعنا» بمعنى: «آنظر إلينا، وآرفق بنا، وتمهل معنا، وتأن في أمرنا»! يقول عز جل مسجلاً عليهم ذلك: (من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا وآسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعناً في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا وآسمع وآنظرنا لكان خيراً لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً) [النساء/ 46].

وتجنباً لهذا اللبس والخلط في التعبير؛ فقد نهى القرآن الكريم المؤمنين عن مخاطبة الرسول ﷺ بها، وأن يبتعدوا عن هذا اللفظ الذي يتخذه اليهود ذريعة، وأن يربأوا بأنفسهم عنه، وأمرهم الله سبحانه أن يحلوا محله بديله في المعنى، الذي لا يملك السفهاء تحريفه وإمالته؛ كي يُفوِّتوا على اليهود غرضهم الخبيث؛ فقال جلا في علاه: (يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا آنظرنا وآسمعوا) [البقرة/ 104]. بهذا المقياس الدقيق، والميزان المنضبط كانت ألفاظ القرآن الكريم طبقاً لمعانيه[35].

ذلك أن (من أخطر وسائل التجهيل المعار: تعمد الغموض في المعاني، وفي دلالات الألفاظ المستخدمة في أساليب التعبير، وتعمد جعلها رجراجة، مائعة، قابلة للتغير والتبدل والانسياح والزحف، ثم آستغلال ذلك بمكر عند الرغبة بالتضليل! بخلاف منهج الإسلام القائم على تحديد المعاني، وتحديد دلالات المصطلحات، وضبط التعريفات ضبطاً تاماً؛ حتى لا يدخل في المُعرَّف ما ليس منه، ولا يخرج عنه ما هو منه! ويشترط علماء المسلمين في التعريف أن يكون جامعاً مانعاً؛ أي: جامعاً لكل عناصر المُعرَّف داخل التعريف، مانعاً من دخول ما ليس منه فيه.

يستغل المضللون – عن طريق لعبة ذكاء شيطاني فيه مكر كُبَّار – ألفاظاً عامة فضفاضة، قابلة للمطِّ والاتساع؛ حتى آستيعاب دلالة كل منها لأمور متخالفة ومتضادة، ومتناقضة أحياناً!)[36]. هذا من جانب.

ومن جانب آخر؛ فقد كان لهذا الكتاب المجيد أثره البالغ في اللغة العربية بشتى ألوانها وأفنانها، ومن جميع مناحيها؛ إذ صفى هذه اللغة؛ فأشاع في الاستعمال أصفى ألفاظها جرساً، وأدقها تعبيراً، وأحلاها نغماً، وأورد كل لفظة في مكانها المناسب ببراعة فائقة، وآلتزم الدقة في مراعاة دلالة الألفاظ، وإيرادها مواردها بطريقة تعجز عنها الخلائق؛ ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً[37]. ومن أمثلة ذلك: أن (ألفاظ «المزنة»، و«الديمة»، و«البعاث» تدل على معنى واحد؛ وهي صفة المطر؛ لكننا نرى أن القرآن لم يستعمل إلا اللفظ الأول؛ لأنه أيسرها في النطق وأحسنها؛ بحيث يستلذها السمع أكثر من نظيراتها)[38].

ومثال آخر على ما ورد من ذلك في الكتاب العزيز: لفظة «ضيزى» في قوله سبحانه: (تلك إذا قسمة ضيزى) [النجم/ 22]؛ فمع غرابة تلك اللفظة – بل هي من أغرب ما فيه – ؛ فإن حسنها في موقعها منه

[35] ينظر: المرجع السابق/ ص9.

[36] كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة/ ص219.

[37] ينظر: صفاء الكلمة/ ص61.

[38] جرس الألفاظ/ ص127.

في نظم الكلام من أغرب الحسن وأعجبه؛ بحيث لا يسد مسدها أي لفظ آخر؛ فغرابتها اللفظية متناسبة مع غرابة آدعاء أولئك السفهاء ونسبتهم ما يكرهون – البنات أو الإناث – لله جل شأنه! ولو أننا أدرنا اللغة عليها؛ لما صلح لهذا الموضع غيرها[39]!

وقد ألمح الجاحظ إلى ذلك بقوله: (وقد يستخف الناس ألفاظاً ويستعملونها، وغيرها أحق بذلك منها! ألا ترى أن الله سبحانه لم يذكر في القرآن «الجوع» إلا في موضع العقاب، أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون «السغب»، ويذكرون «الجوع» في حال القدرة والسلامة؟! وكذلك ذكر «المطر»؛ لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام، والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر «المطر» وذكر «الغيث»! ولفظ القرآن الذي عليه نزل أنه إذا ذكر «الأبصار»؛ لم يقل: «الأسماع»، وإذا ذكر «سبع سموات»؛ لم يقل: «الأرضين»! ألا تراه لا يجمع الأرض «أرضين»، ولا السمع «أسماعاً»؟! والجاري على أفواه العامة غير ذلك؛ فهم لا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر، وأولى بالاستعمال!)[40].

مما سبق نستشف أن (القرآن الكريم ينتقي ألفاظه، ويختار كلماته؛ لما بين الألفاظ من فروق دقيقة في دلالاتها؛ فيستخدم كل لفظة بدقة؛ بحيث تؤدي معناها المراد في إحكام شديد، يكاد السامع يؤمن بأن هذا المكان [وجدت] له تلك اللفظة بعينها، وأن لفظة أخرى لا تؤدي المعنى الذي أفادته أختها)[41]، وأنه قد آستعمل الكلمة في موقعها المحدد الذي لا تغني فيه كلمة غيرها؛ بحيث لو نزعت كلمة منه، أو أزيلت عن وجهها، ثم أدير لسان العرب كله على أحسن منها في تأليفها وموقعها وسدادها؛ لم يتهيأ ذلك، ولا آتسعت له اللغة بكلمة واحدة[42].

ويمكن كل أحد منا التوثق من ذلك بنفسه؛ وذلك أننا إذا حاولنا تغيير كلمة، أو تبديل لفظة من ألفاظ الكتاب العزيز؛ فكأننا غيَّرنا الكلام وبدلناه وبددناه، وأخرجنا الكلمة عن صفة الفصاحة، ودلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة، وجردناها من أسلوب الزينة وزينة الأسلوب، وحجبنا شعاعها، وأطفأنا رواءها، وأنضبنا ماءها[43]!

وما ذاك إلا لأن الكلمة في القرآن الكريم أشبه بالعضو في جسم الإنسان وهو يؤدي وظيفته بدقة وإحكام متناهيين عندما يكون في موضعه، فإذا ما برحه وزايله إلى موضع آخر؛ تغير حال الجسم، وآعتل كيانه، وآختل توازنه! فكذلك الكلمة في القرآن الكريم[44]! وصدق الله العظيم؛ القائل: (قل لئن آجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) [الإسراء/ 88].

---

[39] ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية/ ص261، وجرس الألفاظ/ ص203.

[40] البيان والتبيين (1/ 26)، وينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية/ ص261– 266، وصفاء الكلمة/ ص61.

[41] صفاء الكلمة/ ص62.

[42] ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية/ ص261– 266، والتطور الدلالي/ ص541.

[43] ينظر: صفاء الكلمة/ ص239، والتعبير القرآني/ ص60، وأسرار البيان في التعبير القرآني/ ص42.

[44] ينظر: المرجع نفسه/ ص240.

فالقرآن الكريم: (تعبير بياني مقصود؛ أي أن كل كلمة وكل حرف فيه وضع وضعاً مقصوداً)[45]؛ إذ كان حقاً (دقيقاً في آختيار ألفاظه، وآنتقاء كلماته؛ فإذا آختار اللفظ معرفة؛ كان ذلك لسبب، وإذا آنتقاه نكرة؛ كان ذلك لغرض! كذلك إذا كان اللفظ مفرداً؛ كان ذلك لمقتضى يطلبه، وإذا كان مجموعاً؛ كان لحال يناسبه! وقد يختار الكلمة ويهمل مرادفها الذي يشترك معها في الدلالة، وقد يفضل كلمة على أخرى والكلمتان بمعنى واحد، وربما يتخطى في التعبير المحسن اللفظي والجمال البديعي – على قدره وحسنه – لغرض أسمى – وهو المحسن المعنوي – وكل ذلك لغرض يرمي إليه! وهكذا دائماً: لكل مقام مقال في التعبير القرآني)[46].

على أن آهتمامه بالمعاني وتركيزه عليها لم يكن آلبتة دافعاً أو مسوغاً للزهد في الألفاظ، أو إهمالها، أو الغض من شأنها، أو التقليل من أهميتها في التعبير القرآني الفريد المعجز؛ فقد جاء بأجزل الألفاظ وأعذبها، وأتى بأجل المعاني وأكرمها، وأشدها وقعاً وتأثيراً في العقول والنفوس؛ و(كان يختار الكلمة قاصداً لفظها ومعناها معاً في موقعها المحدد... وكل كلمة في القرآن الكريم شاهد على ذلك؛ لأن كل كلمة في القرآن الكريم قد وضعت في مكانها المحدد الذي لا يجوز أن تكون فيه كلمة غيرها؛ لأن ذلك يخل بالنظام المتكامل الذي بني عليه القرآن؛ لا سيما وقد علمنا أن الكلمة القرآنية – في مكانها – تحدد؛ بل تجمع كل معطيات عوامل السياق المختلفة في إظهار الدلالة في آن واحد)[47].

إن التتبع الدقيق لألفاظه في سياقها يشهد بأن القرآن الكريم يستعمل اللفظ بدلالة محددة، منضبطة، لا يمكن معها أن يقوم لفظ مقام آخر في المعنى الذي تحشد له المعجمات وكتب التفسير عدداً – قل أو كثر – من الألفاظ المقول بترادفها[48]. فالقرآن مثلاً آستعمل مادتي: «حلف وأقسم»، وهما بمعنى واحد في كتب التفسير ومعجمات اللغة؛ لكن آستقراء مواضع آستعمالهما في القرآن كله يرينا أن مادة: «حلف» تأتي دائماً في مقام الحنث باليمين. ليس هذا فحسب؛ بل إن القرآن الكريم يفرق بين الصيغ المختلفة للمادة الواحدة؛ فيستعمل «شتى» مثلاً في التنوع والاختلاف. أما «أشتات»؛ فالواضح فيها معنى التفرق المقابل للتجمع. ويستعمل «النعمة والنعيم» – وهما سواء في المعجمات وكتب التفسير – مع تفرقة واضحة بينهما؛ فيخص «النعمة» – مفرداً وجمعاً – بنعم الدنيا، يطَّرد ذلك في كل مواضع آستعمالها في القرآن المجيد، ويخص «النعيم»

---

[45] أسرار البيان في التعبير القرآني/ ص1.

[46] صفاء الكلمة/ ص15– 16، وينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية/ ص261– 266.

[47] التطور الدلالي/ ص80– 82.

[48] جرت عادة بعض أرباب المعاجم وكثير من أهل اللغة والتفسير من بيان معاني الألفاظ ودلالاتها بما يرادفها أو يقاربها في المعنى، وتفسير بعضها ببعض، من دون الالتفات إلى الفروق الدقيقة واللطيفة الكائنة بينها! ومن هنا؛ فـ(إن في الكلام ألفاظاً متقاربة في المعنى، يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب... والأمر فيها وفي ترتيبها عند علماء اللغة بخلاف ذلك؛ لأن لكل لفظة منها خاصية تتميز بها عن صاحبتها في بعض معانيها، وإن كانا قد يشتركان في بعضها) [بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن/ ص26، وينظر: الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية/ ص72– 73]؛ فالذي يدعونا بإلحاح إلى ضرورة إقامة هذا التمييز وعدم الإغماض فيه أو التغاضي عنه: أن هناك (من المعاني ما يتقارب تقارباً يكاد يرجع الاختلاف فيه إلى الإضافات!) [المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى/ ص44].

بنعيم الآخرة، يطَّرد ذلك أيضاً في كل مواضع آستعمالها. وبعد كل هذا ليس لقائل أن يقضي على العربية بفقدان الحس اللغوي للألفاظ، والعجز عن ضبط الدلالات، وهذا كتابها الأكبر الموثق يبهرنا بدقة دلالة ألفاظه؛ بحيث تأخذ الكلمة مكانها في التعبير، غير ملتبسة بأخرى، أو أخريات[49].

إن كتاب الإسلام والعربية الأكبر – القرآن الكريم – هو الذي (يحسم هذا الخلاف الذي طال؛ إذ يشهد التتبع الاستقرائي لألفاظه في سياقها أنه يستعمل اللفظ بدلالة لا يؤديها لفظ آخر في المعنى الذي تتعدد ألفاظه)[50]، كما (يشهد التتبع الدقيق لألفاظه في سياقها بأنه يستعمل اللفظ بدلالة محددة منضبطة، ولا يمكن معها أن يقوم لفظ مقام آخر في المعنى الذي تحشد له المعاجم وكتب التفسير عدداً قل أو كثر من الألفاظ المقول بترادفها!)[51]. فإذا ما شرعنا بتفسير لفظة «القذف» مثلاً؛ فلا يحق لنا كيل جملة المعاني الدالة على الإلقاء، أو الرمي، أو الطرح... وتفسير اللفظة بها على أنها معان لها؛ لأن تلك الألفاظ التي عدها بعضهم قيماً تفسيرية لـ«القذف» لا تنطبق آنطباقاً تاماً على موحيات تلك اللفظة وقيمها التعبيرية وظلالها التصويرية؛ فهي لا تعكس شخصيتها اللغوية المستقلة والمتميزة عن غيرها؛ وبالتالي لا يمكنها النيابة عنها في تقديم الصورة الأمينة والدقيقة، ولا تستطيع أن تحل محلها في نقل الرسالة المعنوية اللغوية؛ لأن الله عز وجل حين وضع كلمة في مواضعها من القرآن الحكيم؛ وضعها وهو مريد بها جملة معناها، وخلاصة فحواها، ووقع رنينها، ودلالة جرسها، وأثرها القار في النفس، وظلالها المرتسمة في الخيال! وما قيل عن «القذف» يقال كذلك عن عامة ألفاظ اللغة والقرآن التي يظن فيها الترادف، وينسحب عليها لفظة لفظة من دون آستثناء؛ كـ«المجيء، والإتيان، والحضور، والإقبال، والقدوم»... إلخ؛ فلكل مفردة لغوية هوية خاصة وشخصية مستقلة، لا تطابقها مطابقة تامة مفردة أخرى؛ وإن كانتا خارجتين من مشكاة واحدة، ومهما بلغت الوشيجة اللغوية والآصرة المعنوية بينهما في القرب حداً!

بهذا المقياس المحكم والمنضبط؛ يمكننا عد كل لفظة في القرآن الكريم شخصية لغوية مستقلة عن الأخرى تماماً، لها ملامحها الخاصة، ولها علاماتها الفارقة، ومحورها الرئيس، وحدها الموسوم والمرسوم بدقة متناهية؛ بحيث يمكن أن تتداخل وتشترك معها لفظة أخرى في بعض دلالاتها الهامشية ومعانيها الثانوية وإشعاعاتها الجانبية. أما أن تطابقها مطابقة تامة مطلقة؛ فلا! وهذا هو السر الكامن وراء «فنيات الاختيار» وما يلحقها من «جماليات العدول» في القرآن الكريم.

صفوة القول فيما تقدم أن لا تطابق تاماً للفظ مع لفظ طراً في اللغة؛ حتى لا مزية لأحدهما على الآخر! وأن جل ما يمكن أن يمدنا به اللفظ المختار عن خدنه المقارب الذي تم العدول عنه هو أن يقترب بنا من دلالته ومعناه، وأن يحوم حول تخومه وحماه، وأن يقربه إلى الذهن وصفاً، لا أن يعكسه بما فيه على نحو واف، ولا أن يذوب أحدهما في الآخر ذوباناً تاماً؛ حتى يمكن أن يقال بأن أحدهما من حيث المعنى كالآخر

[49] ينظر: كتاب العربية الأكبر/ ص12– 13.

[50] من أسرار العربية في البيان القرآني/ ص37.

[51] كتاب العربية الأكبر/ ص12.

تماماً، وحتى يمكن أن يفسر أحدهما بالآخر من دون إضافة ملامح تمييزية أو علامات فارقة زائدة أو ناقصة لأحدهما عن الآخر! فلكل لفظة شخصية لغوية تمتاز عن الأخرى بدلالاتها وموحياتها وظلالها وجرسها وما تشتمل عليه مما قد تفتقده وتفتقر إليه أو إلى بعضه صنوتها البديلة أو المقاربة!

فالكلمات في اللغة العربية لا تعيش فرادى منعزلات؛ بل مجتمعات مشتركات، تماماً كما يعيش العرب في أسر وقبائل! وأن للكلمة فيها جسماً وروحاً، وأنها غير منبتة؛ بل لها آنتماء ونسب تلتقي عبره مع مثيلاتها في مادتها ومدلولها آلتقاءً مقنناً بقوانين مشترعة، ومحدداً بحدود مرسومة، ومنضبطاً بضوابط صارمة؛ فيسمح لها بالتزاور واللقاء، ويأذن لها بصلة أرحامها، ويقف حائلاً – في الوقت ذاته – دون ذوبانها وتداخلها التام مع مثيلاتها؛ كي لا تَضِلَّ أو تُضَلَّ، أو تَظلِمَ أو تُظلَمَ! وكأن تلك الصلة قد باتت من عداد عوامل البسط في رزق تلك اللغة الثرية، ومن أسباب الإنساء في أثرها[52]!

المبحث الثاني: نماذج تطبيقية لظاهرة (الاختيار والعدول) في القرآن الكريم

لقد تبين لنا بما لا ينتابه شك أن الكلمة في القرآن مسوقة في موقعها الدقيق والمحدد والمناسب لتؤدي المعنى المراد، وتتلاءم من الناحيتين اللفظية والمعنوية مع ما قبلها وما بعدها؛ بحيث تعطي بمدلولها ما تلقيه من ظلال المعنى المراد بكماله وتمامه، مع بيان ما فيه من إيحاءات، وبحيث أنها لو آستبدلت بغيرها؛ ما أفيد المعنى المراد! فكل لفظة في القرآن مقصودة لذاتها؛ ولهذا يدعونا القرآن المجيد للتأمل وإعمال الذهن في التفريق بين اللفظة وشبيهاتها ضمن سياقاتها المتنوعة؛ فالحقيقة اللغوية قاضية بأن للكلمات القرآنية ونسقها في التعبير القرآني دوراً وضرورة في السياق الذي ترد فيه للدلالة على المعنى المراد؛ بحكم ما لكل منها من فلسفة خاصة في كل آستعمال؛ حتى تمسي كأنها قد وجدت لهذا الموضع دون غيره، ومقدرة على مقاسه، ومفصلة على وفق حاجته دون إسراف أو تقتير! كما إن لها أهمية بالغة في توجيه معنى النص الذي يكتنفها الوجهة التي يؤمها، وتحديده دون سائر المعاني التي قد تزاحمه لولاها! فهي أصل الدقة وبوصلة الاتجاه الذي لا يحيد في ذلك التعبير الفريد المعجز، فضلاً عما لها من أثر مؤثر في تناسب الإيقاع!

وجميع كلمات القرآن قد رتبها عز وجل بتناسق وتدرج وإعجاز لغوي محسوب بدقة وإحكام متناهيين! ويستطيع كل متدبر فطن أن يسبر النصوص الحكيمة بنفسه، وأن يبحر في رحاب كلمات الله تبارك وتعالى؛ ليستكشف إعجازه الذي لا يتوارى، ويستبين عجائبه التي لا تنقضي، ويستجلي مراميه التي لا تخلق على كثرة الرد، مستجيباً لنداء ربه عز وجل!

على أن ما نجده في رحاب كلام الله تعالى من إعجاز لغوي محسوب بدقة وإحكام متناهيين في آستعمال الألفاظ التي قد يظن فيها الترادف والتطابق في مواطنها المحددة، قد نفتقده ونفتقر إليه في كلام البشر؛ إذ آشتمل كلام العرب – شعره ونثره – قبل الإسلام وبعده بين طياته على كثير من المصطلحات والألفاظ التي

[52] ينظر: اللغة العربية ومكانتها بين اللغات/ ص6– 7.

يمكننا تصنيفها في عداد الترادف، والتي لو ذهبنا نستقصيها؛ لطال بنا العد، وأعيانا الإحصاء، وضاق بنا المقام! وقد حاول أبو عودة في كتابه: «التطور الدلالي» تتبع كثير منها وٱستقصاءه، وإجراء موازنات دلالية بين ما كان موجوداً من دلالات تلك الألفاظ قبل نزول القرآن، وما آلت إليه بعده؛ فوجد أن كثيراً مما كان يعد في الشعر الجاهلي من المترادفات لم يعد له وجود ٱلبتة في القرآن الكريم، وأدى ذلك به إلى أن يجتهد في ذكر كثير من الأمثلة والشواهد القرآنية التي تدل دلالة واضحة على أن كل كلمة مختارة في القرآن تحمل معنى غير الذي تحمله الكلمات الأخرى المعدول عنها التي يظن أنها مرادفة لها[53].

وإذا ما قمنا بإجراء موازنة موجزة، نحاول من خلالها إبدال بعض المصطلحات الواردة في الكتاب العزيز بأخرى من كلام عربي بليغ – شعراً كان أو نثراً – ؛ وذلك من خلال بعض التصرفات اليسيرة بظاهرة «الاختيار والعدول» فيه؛ لوجدنا البون بينهما شاسعاً من حيث قبول ذلك الإبدال أو رفضه ولفظه. فلو (تناولنا أية قطعة أدبية – أياً كان كاتبها – وعُرِّضت كلماتها للتبديل، وألفاظها للتغيير والتحسين؛ فإنك واجد إلى ذلك سبيلاً؛ إذ إن كل قطعة أدبية بلاغية – مهما كانت في غاية السبك والجودة – قابلة للبحث، خاضعة للنقد! أما ألفاظ القرآن الكريم؛ فليس من شأنها ذلك؛ إذ هي من وضع الحكيم الخبير الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. ففي كلماته نرى الدقة الواضحة في التعبير القرآني، والتحديد الكامل لمعنى اللفظ، والإتيان به في خاص معناه. ولو كان أحد اللفظين مكان الآخر؛ لأوقع السامع صاحب الفطرة السليمة، والطبع الصحيح والذوق اللغوي، في حيرة وٱرتباك، وأدخل عليه اللبس والخلط!)[54].

فالمعنى الواحد في القرآن الكريم يؤديه لفظ واحد، فإذا تعددت المعاني؛ كان ذلك مدعاة إلى تعدد الألفاظ إزاءها؛ فقد يتغير في الآية القرآنية لفظ من سياق إلى سياق، ومن سورة إلى سورة إذا ما دعت الحاجة إلى ذلك التغير.

وفيما يأتي عرض لطائفة من ألفاظ القرآن الكريم التي تم اختيارها والعدول بها عن غيرها في سياقاته الحكيمة، مع بيان ما بينها من تعليلات وفروق، وفنيات وجماليات، وإيضاح دلالة كل منها على غير المعنى الذي دلت عليه أختها:

الانفجار والانبجاس

وردت قصة موسى عليه السلام في سور متعددة من القرآن الكريم، وبينها في سورتي البقرة والأعراف[55] تشابه وٱختلاف في الألفاظ؛ كما هو حاصل في كلمتي: «ٱنفجرت»، و«ٱنبجست»؛ فقد يحصل ٱختلاف في التعبير أحياناً في مكان عن مكان، أو في قصة عن قصة، وليس في القرآن الكريم ٱختلاف في القصة؛ وإنما يختلف التعبير عن مشهد من مشاهد القصة بين سورة وسورة؛ لأن كل سورة تأتي بجزئية من القصة نفسها تتناسب وسياق الآيات في السورة التي تذكر فيها؛ فالمشاهد كلها وقعت للقصة نفسها، ولا تختلف في

[53] ينظر: التطور الدلالي/ ص58– 59.

[54] صفاء الكلمة/ ص120.

[55] تنظر: الآية 60 من [سورة البقرة]، والآية 160 من [سورة الأعراف].

الفحوى والحقيقة! فما الذي حدث فعلاً؟! هل «ٱنفجرت» الاثنتا عشرة عيناً، أم أنها «ٱنبجست»؟! الجواب الذي لا يقبل الشك أو التأويل أن كليهما قد حصل، وبحسب ما يقوله المفسرون؛ فإن الحجر ٱنفجر أولاً بالماء الكثير، ثم قل الماء بمعاصيهم!

وفضلاً عما تقدم؛ فقد سيقت الآيات في [سورة البقرة] في معرض تكريم بني إسرائيل، وتعداد الآلاء والنعم الظاهرة والباطنة التي أسبغت عليهم؛ فذكرت فيها أمور كثيرة في مقام التفضيل والتكريم؛ لذا جيء بالكلمة التي تدل على الكثير: «ٱنفجرت». أما في [سورة الأعراف]؛ فالسياق فيها في معرض الذم والذكر لذنوبهم ومعاصيهم، والمقام مقام تقريع وتأنيب؛ فذكر معها «الانبجاس»، وهو أقل من «الانفجار»، وهذا – بعدما ذكر – أمر مشاهد؛ فالعيون والآبار لا تبقى على حال واحدة؛ فقد تجف! فذكر «الانفجار» في موطن، و«الانبجاس» في موطن آخر، وكلا المشهدين حصل بالفعل[56].

إن مرد الاختلاف في هذين اللفظين هو أن البلاغة والبيان ٱقتضيا أن يؤتى باللفظ الأول: «ٱنفجرت» ليدل على المعنى المقصود والأنسب للغرض المراد؛ فإنه جل وعلا حين ٱستعرض في كتابه الكريم جانباً من حكاية نبيه موسى عليه السلام؛ قال: (وإذ ٱستسقى موسى لقومه) [البقرة/ 60]، فلما كان الطلب من موسى عليه السلام في هذه الآية لربه؛ ناسب التعبير عن ذلك بكلمة: «ٱنفجرت»؛ إذ «الانفجار» ٱنصباب الماء بكثرة، وكان في هذه الآية (كلوا وٱشربوا)؛ فكان من المناسب مع طلب موسى عليه السلام ذكر اللفظ الأبلغ؛ لهذا جاء التعبير بلفظ «الانفجار» دون لفظ «الانبجاس».

ولما كان طلب السقي في الآية الثانية من بني إسرائيل – لا من موسى – في قوله عز وجل: (وأوحينا إلى موسى إذ ٱستسقاه قومه) [الأعراف/ 160]؛ ناسب ذلك كلمة: «ٱنبجست»؛ لأن «الانبجاس» ظهور الماء بدرجة أقل من «الانفجار»، وكان في هذه الآية «كلوا»، وليس فيها «ٱشربوا»؛ فلم يبالغ فيه؛ لهذا جاء التعبير بلفظ «الانبجاس» دون لفظ «الانفجار»[57]؛ ليتناسب مع طلب قوم موسى، وليكون هناك فارق بين طلب موسى وطلب قومه[58].

وهكذا فإن «الانفجار» جاء مع ذكر الأكل والشرب: (كلوا وٱشربوا)، وذلك حتماً سيكون بحاجة إلى قدر أكبر من الماء؛ فناسبه ذكر فعل «الانفجار». أما في آية الأعراف؛ فلم يذكر الشرب، وٱكتفي بذكر الأكل: (كلوا من طيبات ما رزقناكم) [الأعراف/ 160]؛ فجيء باللفظ الدال على الماء الأقل بقدر الحاجة! والله أعلم[59]. ثم إن لفظ «الانفجار» جاء في مقام التكريم والتفضل، وفيه دلالة على أن العيون بدأت بالانفجار

---

[56] ينظر: البرهان في علوم القرآن (1/ 90)، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن (1/ 87- 88)، والتعبير القرآني/ ص286، وأسرار البيان في التعبير القرآني/ ص91.

[57] ينظر: بصائر ذوي التمييز (1/ 144)، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن (3/ 10).

[58] ينظر: صفاء الكلمة/ ص153.

[59] ينظر: البرهان في علوم القرآن (1/ 90)، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن (1/ 87- 88)، والتعبير القرآني/ ص286، وأسرار البيان في التعبير القرآني/ ص91.

بالماء الشديد؛ فجاء بحالة الكثرة مع التنعيم. أما لفظ «الانبجاس»؛ فقد جاء في مقام التقريع، قل الماء بمعاصيهم؛ فناسب ذكر حالة قلة الماء مع تقريعهم[60].

الحمد والشكر

يفترق «الحمد» عن «الشكر» في أن «الحمد» يكون آبتداءً بمعنى: الثناء. أما «الشكر»؛ فلا يكون إلا في المكافأة والجزاء والرد. ومن هذا نقول: حمدت الرجل؛ إذا أثنيت عليه في أخلاقه؛ وإن لم يكن قد سبق منه معروف. وشكرت زيداً؛ إذا أردنا جزاءه على معروف. ثم قد يكون «الشكر» قولاً كـ«الحمد»، وقد يكون فعلاً؛ كقوله عز وجل: (آعملوا آل داود شكراً) [سبأ/ 13]. وإذا أردت أن تتبين حقيقة الفرق بينهما؛ آعتبر كل واحد منهما بضده؛ وذلك أن ضد الحمد: الذم، وضد الشكر: الكفران. وقد يكون «الحمد» على المحبوب والمكروه، ولا يكون «الشكر» إلا على المحبوب[61].

الخشية والخوف

ومن هذا الباب أيضاً: الفرق بين «الخشية»، و«الخوف»؛ فقد يظن أنهما بمعنى واحد؛ لكن المتنعم الحصيف والمتدبر الفطن يجد أن «الخشية» أعلى مرتبة من «الخوف». وفرق بينهما أيضاً بأن «الخشية» تكون من عظم المخشي؛ وإن كان الخاشي قوياً؛ فهي خوف يشوبه تعظيم. أما «الخوف»؛ فيكون من ضعف الخائف؛ وإن كان المخوف أمراً يسيراً[62].

الحلف والقسم

»الحلف» في الأصل: (تأكيد الخبر بذكر المعظم)[63]، أو هو (إضافة الخبر إلى المعظم)[64]! أما الأصل في تسمية «القسم»؛ فإنه (لما كان «الخبر» يدخله الصدق والكذب؛ آحتاج المخبر إلى طريق به يتوسل إلى ترجيح جانب الصدق على جانب الكذب؛ وذلك هو «الحلف»! ولما كانت الحاجة إلى ذكر «الحلف» إنما تحصل عند آنقسام الناس عند سماع ذلك الخبر إلى مصدق به ومكذب به؛ سموا «الحلف» بـ«القسم»، وبنوا تلك الصيغة على «أفعل»؛ فقالوا: «أقسم فلان يقسم إقساماً»، وأرادوا أنه أكد القسم الذي آختاره، وأحال الصدق إلى القسم الذي آختاره بواسطة «الحلف»)[65]! كما إن (معنى قولنا: «أقسم بالله» أنه صار ذا قسم بالله، والقسم: النصيب، والمراد أن الذي أقسم عليه من المال وغيره قد أحرزه ودفع عنه الخصم بالله،

---

[60] ينظر: الأسئلة والأجوبة المفيدة/ ص84.

[61] ينظر: الفروق اللغوية/ ص35، وبيان إعجاز القرآن «ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن»، ص37، وصفاء الكلمة/ ص63- 64.

[62] ينظر: صفاء الكلمة/ ص65، ومباحث في علوم القرآن، للقطان/ ص204.

[63] أحكام القرآن، للجصاص (4/ 321).

[64] المصدر نفسه (4/ 321).

[65] مفاتيح الغيب (13/ 117).

والحلف من قولك: «سيف حليف»؛ أي: قاطع، ماض، فإذا قلت: «حلف بالله»؛ فكأنك قلت: «قطع المخاصمة بالله»! فالأول أبلغ؛ لأنه يتضمن معنى الآخر، مع دفع الخصم؛ ففيه معنيان! وقولنا: «حلف» يفيد معنى واحداً؛ وهو قطع المخاصمة فقط؛ وذلك أن من أحرز الشيء باستحقاق في الظاهر؛ فلا خصومة بينه وبين أحد فيه، وليس كل من دفع الخصومة في الشيء؛ فقد أحرزه)[66]!

و(لم يكن الجاهليون يفرقون بين فعلي «حلف»، و«أقسم» في أقوالهم، وقد رويت عنهم أبيات شعرية عديدة آستخدمت فيها الكلمتان بمعنى واحد، كأنهما مترادفتان! في حين نجد أن القرآن الكريم فرق بين الفعلين في الدلالة؛ إذ آستعمل الفعل «حلف» وما آشتق منه في معرض اليمين الكاذب الصادر عن أناس منافقين أو غير ملتزمين بأيمانهم، في الوقت الذي لم ترد فيه مادة «القسم» إلا في معرض الصدق الأبلج! وغالباً ما أسند القسم إلى الله سبحانه وتعالى[67]، قال عز وجل: (فلا أقسم بما تبصرون* وما لا تبصرون) [الحاقة/ 38- 39]، (فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون) [المعارج/ 40].

الحلم والرؤيا

ومن الألفاظ القرآنية التي يظن فيها أكثرهم أنها مترادفة: «الحلم والرؤيا»، ومعجمات اللغة تفسر إحداهما بالأخرى؛ لكنهما في البيان الأعلى لا تترادفان ولا تتعاوران؛ فـ«الأحلام» جاءت فيه مرتين[68]، ويقطع سياقها الذي وردت فيه بأنها الأضغاث المشوشة، والهواجس المختلطة، وقد جاءت في هذين الموضعين بصيغة الجمع؛ للدلالة على الخلط الذي لا يتميز فيه حلم عن آخر[69]! أما «الرؤيا»؛ فقد جاءت في القرآن الكريم ست مرات، كلها في الرؤيا الصادقة[70]، ولم يستعملها القرآن إلا بصيغة المفرد؛ دلالة على التميز والوضوح وصفاء المرئي[71].

الشح والبخل

ومن ذلك أيضاً: «الشح والبخل»؛ فالشح هو البخل الشديد مع الجشع والطمع؛ وهو أن يبخل الإنسان بما يملكه مما في يده. و«الشح» أن يشح بما لا يملكه مما في أيدي الناس؛ وذلك بأن يحب أن يكون له ما في أيديهم بالحل والحرام؛ فلا يقنع[72]! وقيل: إن الفرق بينهما هو أن البخل: نفس المنع، والشح: هو الحالة

---

[66] الفروق اللغوية (1/ 429).

[67] التطور الدلالي/ ص514.

[68] في [سورة يوسف]، الآية 44، و[سورة الأنبياء]، الآية 5.

[69] ينظر: من أسرار العربية في البيان القرآني/ ص38.

[70] وهي: [سورة الصافات]، الآيتان: 102، و105، و[سورة يوسف]، الآيات: 4، و36، و43، و100، و[سورة الإسراء]، الآية 60، و[سورة الفتح]، الآية 27.

[71] ينظر: من أسرار العربية في البيان القرآني/ ص38- 39.

[72] ينظر: اللباب في علوم الكتاب (15/ 207).

النفسانية التي تقتضي ذلك المنع[73]. وفي هذا الصدد يروى عن آبن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «ليس الشح أن يمنع الرجل ماله؛ إنما الشح أن تطمع عينه فيما ليس له!»[74]. وبذا يكون الشح من طباع النفس؛ فإن النفوس شحيحة بالأشياء المحببة! ويجوز أن يكون المراد من الشح ما جبلت عليه النفوس من المشاحة والمخاصمة والمماحكة، وعدم التساهل، وصعوبة الشكائم[75]!

الغضب والأسف

جاء في تفسير الطبري: (قال أبو الدرداء رضي الله عنه: قول الله عز وجل: (فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً) [طه/ 86] قال: «الأسف» منزلة وراء الغضب، أشد منه!)[76]، و(الأسف في اللغة: شدة الغضب)[77]، وقال أبو هلال العسكري: (و«الأسف»: حسرة معها غضب أو غيظ، والآسف: الغضبان المتلهف على الشيء! ثم كثر ذلك؛ حتى جاء في معنى الغضب وحده في قوله ﷻ: (فلما آسفونا آنتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين) [الزخرف/ 55]؛ أي: أغضبونا، وآستعمال الغضب في صفات الله عز وجل مجاز، وحقيقته: إيجاب العقاب للمغضوب عليه!)[78].

الغيث والمطر

إن آستعمال العرب قبل الإسلام للفظي: «الغيث والمطر» يكاد يكون واحداً بلا فرق بينهما. أما القرآن الكريم؛ فقد جعل بينهما فرقاً واضحاً، وأعطى لكل منهما دلالة تميزه عن أخيه، وجعل كلاً منهما مصطلحاً قائماً بذاته. أما «الغيث»؛ فهو الماء المنصب من السماء؛ رحمة للعباد، وهو سبب الخير والنماء، وهو متاع للناس والأنعام... هكذا تحدثت الآيات الكريمة الثلاث التي ذكر فيها الغيث[79]. وأما «المطر»؛ فهو على عكس ذلك كله، وقد وردت تلك الكلمة ومشتقاتها في تسع آيات[80]، وهو نقمة الله عز وجل على الكافرين والمعرضين، يرسله عقاباً للأمم الكافرة والأقوام الجاحدة[81].

---

[73] ينظر: مفاتيح الغيب (15/ 300).

[74] حاشية الصاوي على الشرح الصغير (4/ 190)، وينظر: صفوة التفاسير (2/ 332).

[75] ينظر: مفاتيح الغيب (15/ 300)، والشكائم: الطبائع.

[76] جامع البيان (13/ 120)، و(18/ 350)، وينظر: النكت والعيون (2/ 19)، وزاد المسير (3/ 37)، ومفاتيح الغيب (7/ 254)، و(10/ 452)، واللباب في علوم الكتاب (8/ 14)، وفتح القدير (3/ 95).

[77] بحر العلوم (2/ 146).

[78] الفروق اللغوية/ ص128.

[79] وهي: [سورة لقمان]، الآية 34، و[سورة الشورى]، الآية 28]، و[سورة الحديد]، الآية 20.

[80] وهي: [سورة النساء]، الآية 102، و[سورة الأعراف]، الآية 84، و[سورة الأنفال]، الآية 32، و[سورة هود]، الآية 82، و[سورة الحجر]، الآية 74، و[سورة الفرقان]، الآية 40، و[سورة الشعراء]، الآية 173، و[سورة النمل]، الآية 58، و[سورة الأحقاف]، الآية 24.

[81] ينظر: التطور الدلالي/ ص507.

(إن القرآن الكريم قد أحدث مصطلحات جديدة من خلال السياق القرآني؛ حيث أعطى بعض الكلمات دلالات لم تعرفها في الشعر الجاهلي؛ فقد فرق بين... «الغيث والمطر»... وأصر القرآن الكريم على آستعمال «المطر» في حالات العذاب والعقاب في الدنيا، مثلما أصر على آستعمال «الغيث» في معاني الخير والنماء... وهذا أسلوب جديد لم يعرفه الشعر الجاهلي الذي لم يفرق بين دلالة هذه الكلمات التي يبدو أنها مترادفة!)[82]، وهو مظهر من مظاهر الإعجاز في التعبير لم يعتد عليه العرب! وأن كثيراً من الناس – حتى يومنا هذا – لم يتنبهوا إلى تلك الفروق الدقيقة بين الكلمات[83]!

الريح والرياح

إن لفظي: «الريح والرياح» تحملان الصورة نفسها والدلالة ذاتها في كلام العرب قبل الإسلام؛ فلم يفرقوا بينهما، وكل منهما تعني عندهم: الريح الشديدة القوية التي تسفي الرمال، وتعصف بالناس، وتهد البيوت، وتقتلع النبات، وتزمجر بالأصوات المرعدة... كما جاء ذلك في الشعر الجاهلي. أما في القرآن الكريم؛ فإن لـ«الريح» دلالة تختلف عن تلك التي لـ«الرياح»؛ فـ«الريح» فيه تحمل المعنى نفسه والصورة ذاتها التي ذكرت في نصوص الشعر الجاهلي: الريح الشديدة العاصفة، قال جلت قدرته: (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية) [الحاقة/ 6]. أما «الرياح» في القرآن الكريم؛ فهي على العكس من ذلك: الرياح الهادئة المطمئنة الطيبة التي تحمل في نسائمها بشائر الخير، وتجمع في هبوبها برفق السحب والغيوم والمزن، وتتسبب بنزول الغيث؛ فتعم البركة والرحمة البلاد والعباد[84]، ومن ذلك: قوله ﷻ: (ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) [الروم/ 46].

الريب والشك

«الشك» أضعف من «الريب»؛ لأنه لو لم يكن كذلك؛ لما وصف في ست آيات بأنه «مريب»[85]؛ وعلى هذا كان آستعمال «الريب» ألزم وأوجب لما يقتضي المقام أن يستعمل فيه، ولا يمكن أن يحل «الشك» محله[86]! فإذا ما عرفنا أن قيام الساعة، والبعث، ويوم القيامة حق لا مراء فيه؛ فسنعرف – تبعاً لذلك – أن إثباته وبيانه يتطلب أن تؤدي الألفاظ تلك الحال المقتضاة؛ فكان أن آستعمل «الريب»، ولم يستعمل «الشك»! وتلكم هي لغة التنزيل في تخير اللفظ وآنتقائه، وفي إحكام الأداء، وإصابة دقائق المعاني[87].

---

[82] التطور الدلالي/ ص540.

[83] ينظر: البيان والتبيين (1/ 26)، والتطور الدلالي/ ص509، وصفاء الكلمة/ ص61.

[84] التطور الدلالي/ ص510 و512.

[85] من بديع لغة التنزيل/ ص11، والآيات هي: 62، و110 من [سورة هود]، و9 من [سورة إبراهيم]، و54 من [سورة سبأ]، و45 من [سورة فصلت]، و14 من [سورة الشورى].

[86] ينظر: من بديع لغة التنزيل/ ص12.

[87] ينظر: المرجع نفسه/ ص11– 13، وتاريخ علوم اللغة العربية/ ص35.

الذل والصغار

قال أبو هلال: (الفرق بين «الصغار والذل»: أن الصغار هو: الاعتراف بالذل، والإقرار به، وإظهار صغر الإنسان، وخلافه «الكبر»؛ وهو إظهار عظم الشأن. وفي القرآن: (سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون) [الأنعام/ 124]؛ وذلك أن العصاة بالآخرة مقرون بالذل، معترفون به! ويجوز أن يكون ذليل لا يعترف بالذل!)[88].

القعود والجلوس

و«القعود» يستعمل في كل ما يكون فيه لبث ومكث! بخلاف «الجلوس»؛ ولهذا يقال لكبار السن من النساء: «قواعد البيت»، ولا يقال: «جوالسه»؛ للزومهن البيت ومكثهن فيه. ويقال: «جليس الملك»، ولا يقال: «قعيده»؛ لأن مجالس الملوك يستحب فيها التخفيف؛ وعلى هذا جاء قوله جل وعلا: (إن المتقين في جنات ونهر* في مقعد صدق عند مليك مقتدر) [القمر/ 54– 55]؛ فجاء التعبير القرآني (في مقعد صدق)؛ للإشارة إلى أنه لا زوال له، بخلاف قوله عز وجل: (يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم) [المجادلة/ 11]؛ إذ جاء التعبير القرآني: (في المجالس)؛ لأن هذا المجلس يجلس فيه زمان يسير[89].

وقد فرق بعض العلماء بين «القعود»، و«الجلوس»؛ فقالوا لمن كان قائماً: اقعد، ولمن كان نائماً، أو ساجداً: اجلس. وعللوا لهذا الاختيار بأن القعود هو الانتقال من علو إلى سفل؛ ولهذا قيل لمن أصيب برجله: مقعد! وأن الجلوس هو الانتقال من سفل إلى علو، ومنه سميت نجد: جلساً؛ لارتفاعها[90]...

المجيء والإتيان

ومن ذلك: الفرق بين «جاء»، و«أتى»؛ فالفعل «جاء» يقال عادة في الجواهر والأعيان والأمور المحسوسة، والحاضرة، والقريبة. أما الفعل «أتى»؛ فيكون في المعاني والأزمان والأمور غير المحسوسة، والغائبة، والبعيدة، قال سبحانه: (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) [الفجر/ 22]؛ أي: أمره؛ والمراد به: أهوال يوم القيامة المشاهدة. وقال تعالى: (ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) [الأعراف/ 34]؛ لأن الأجل كالمشاهد؛ ولهذا عبر عنه بالحضور في قوله تعالى: (حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن) [النساء/ 18].

---

[88] الفروق اللغوية (1/ 314).

[89] ينظر: بيان إعجاز القرآن «ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن»، ص28، والإتقان في علوم القرآن (1/ 196).

[90] ينظر: درة الغواص في أوهام الخواص/ ص194، وصفاء الكلمة/ ص73، وتاريخ علوم اللغة العربية/ ص35.

ومن ذلك أيضاً: قوله جلا وعلا: (وقال فرعون ٱئتوني بكل ساحر عليم* فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون) [يونس/ 79- 80]؛ فلما كان الغموض والإبهام يلف شخوص السحرة، كم عددهم، وما وصفهم، ومن سيأتي منهم ومن سيتخلف؛ جاء التعبير بـ«الإيتاء أو الإتيان»! أما وقد تبين ذلك كله جلياً بمجيئهم ومثولهم بين يديه؛ وجدنا العدول السريع بالتعبير الحكيم إلى لفظ «المجيء»[91].

البعث والإرسال

و(الفرق بين «البعث»، و«الإرسال» أنه يجوز أن يبعث الرجل إلى الآخر الحاجة يخصه دونك ودون المبعوث إليه؛ كالصبي تبعثه... فتقول: «بعثته»، ولا تقول: «أرسلته»؛ لأن الإرسال لا يكون إلا برسالة وما يجري مجراها)[92].

التلاوة والقراءة

ففي الفعل «تلا» معنى أوسع مما في «قرأ»؛ إذ إن التلاوة هي تدبر آيات الله وفهمها والعمل بها. في حين إن القراءة مقتصرة على التعبد وحفظ الآيات وترديدها. ثم إن «تلا» خاصة بالقرآن الكريم، و«قرأ» تستعمل في القرآن وغيره[93]. جاء في «قواعد التفسير» للسبت: (إن التلاوة لا تكون في الكلمة الواحدة، والقراءة تكون فيها. تقول: قرأ فلان ٱسمه، ولا تقول: تلا ٱسمه؛ وذلك أن أصل التلاوة من قولك: تلا الشيء الشيء يتلوه؛ إذا تبعه. فإذا لم تكن الكلمة تتبع أختها؛ لم تستعمل فيها التلاوة، وتستعمل فيها القراءة؛ لأن القراءة ٱسم لجنس هذا الفعل)[94].

السغب والمخمصة والجوع

تأول المفسرون «المخمصة» بالمجاعة[95]! والعربية تستعمل الكلمة أصلاً في ضمور البطن من جوع، أو هزل، يقال: خمص البطن: خلا، ورجل خمصان وخميص: ضامر البطن؛ فكان ٱستعمالها للمخمصة في المجاعة لا يكون إلا مع شدة وطأة الجوع وطول أمده؛ إذ لا يعقل أن يضمر الإنسان ويهزل من جوع يوم، أو بعض يوم[96]. وكذا الفرق بين «الجوع»، و«السغب»؛ إذ نبه لذلك الجاحظ إلى أنه (قد يستخف الناس ألفاظاً ويستعملونها؛ وغيرها أحق بذلك منها! ألا ترى أن الله تعالى لم يذكر في القرآن «الجوع» إلا في

---

[91] ينظر: الكشاف (2/ 274).
[92] الفروق اللغوية/ ص72.
[93] ينظر: التطور الدلالي/ ص492.
[94] (1/ 465- 466).
[95] ينظر: الكشاف (2/ 1)، ومفاتيح الغيب (5/ 469)، والجامع لأحكام القرآن (6/ 46).
[96] ينظر: من أسرار العربية في البيان القرآني/ ص44-45.

موضع العقاب، أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر؟! والناس لا يذكرون «السغب»، ويذكرون «الجوع» في حال القدرة والسلامة...)[97].

الزوج والمرأة والصاحبة

يستعمل البيان القرآني كلمة: «زوج» حيثما تحدث عن آدم وزوجه؛ في حين آستعمل كلمة: «آمرأة» في مثل: آمرأة العزيز، وآمرأة نوح، وآمرأة لوط، وآمرأة فرعون... وقد يبدو من القريب أن يقوم أحد اللفظين مقام الآخر؛ فنقول مثلاً: «آمرأة آدم»، و«زوج العزيز»؛ إلا أن البيان القرآني المعجز يأبى ذلك، ويعطينا سر الدلالة في الزوجية مناط العلاقة بين أول زوجين من البشر؛ إذ لم تكن زوج آدم عليه السلام آمرأة من أخريات؛ وإنما كانت وحدها الزوج، وكانت الزوجية – ولا شيء غيرها – مناط علاقتها بآدم وسر وجودها!

ونستقرئ آستعمال القرآن للفظتين؛ فلفظة «زوج» تأتي حيث تكون الزوجية مناط الموقف حكمة وآية، أو تشريعاً وحكماً، ومن ذلك: قوله ﷻ: (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً) [النحل/ 72]، و(والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين وآجعلنا للمتقين إماماً) [الفرقان/ 74]. فإذا تعطلت آيتها من الوحدة النفسية والسكن والمودة والرحمة؛ بخيانة أو تباين في العقيدة؛ فـ«آمرأة» لا «زوج»! ومن ذلك: قوله ﷻ: (قالت آمرأت العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) [يوسف/ 51]، و(ضرب الله مثلاً للذين كفروا آمرأت نوح وآمرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما... وضرب الله مثلاً للذين آمنوا آمرأت فرعون...) [التحريم/ 10–11].

ثم إن حكمة الزوجية في الإنسان وسائر الكائنات الحية من حيوان ونبات، هي آتصال الحياة بالتوالد، وفي هذا السياق يكون المقام لكلمة «زوج، وزوجين، وأزواج» من ذكر وأنثى[98]! فإذا تعطلت حكمة الزوجية في البشر بعقم، أو ترمل؛ فـ«آمرأة» لا «زوج»؛ كالآيات في آمرأة إبراهيم، وآمرأة عمران[99].

يضرع زكريا عليه السلام إلى ربه تبارك وتعالى: (قال رب أنى يكون لي غلام وكانت آمرأتي عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً) [مريم/ 8]، و(قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وآمرأتي عاقر) [آل عمران/ 40]، ثم لما آستجاب له ربه، وحققت الزوجية حكمتها؛ كانت الآية بـ«الزوج» لا بـ«المرأة»: (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه) [الأنبياء/ 90][100].

---

[97] البيان والتبيين (1/ 26).

[98] تنظر: الآيات: [سورة النساء]، الآية 1، و[سورة الأنعام]، الآية 139، و[سورة هود]، الآية 40، و[سورة الرعد]، الآية 3، و[سورة طه]، الآية 53، و[سورة الحج]، الآية 5، و[سورة المؤمنون]، الآية 27، و[سورة الشعراء]، الآية 7، و[سورة لقمان]، الآية 10، و[سورة يس]، الآية 36، و[سورة الزمر]، الآية 6، و[سورة الشورى]، الآية 11، و[سورة ق]، الآية 7، و[سورة الذاريات]، الآية 49، و[سورة النجم]، الآية 45، و[سورة النبأ]، الآية 8.

[99] [سورة آل عمران]، الآية 35، و[سورة هود]، الآية 71، و[سورة الذاريات]، الآية 29.

[100] ينظر: من أسرار العربية في البيان القرآني/ ص45– 47، وصفاء الكلمة/ ص103– 108.

أما «الصاحبة»؛ فهي التي تعاشر المرء ولو لساعة واحدة في العمر؛ ولو كانت العلاقة الرابطة بينهما عابرة أو غير مشروعة! وقياساً بقصر مدتها؛ فقد نفاها الباري عز وجل عن نفسه من باب نفي الأولى، وتنزه عن آتخاذها قائلاً جل من قائل: (ولم تكن له صاحبة) [الأنعام/ 101]، وقال جلت قدرته: (وأنه تعالى جد ربنا ما آتخذ صاحبة ولا ولداً) [الجن/ 3].

الوفاة والموت

وقوله سبحانه: (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى) [الزمر/ 42] صريح في أن «التوفي» أعم من «الموت»؛ إذ صرحت الآية الكريمة بأن الأنفس التي تتوفى في منامها غير ميتة؛ فهناك وفاتان: وفاة كبرى؛ وتكون بالموت، ووفاة صغرى؛ وتكون بالنوم[101]!

الاختلاف والتفاوت

«التفاوت» في القرآن كله مذموم؛ ولهذا نفاه الله عز وجل عن فعله فقال: (الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) [الملك/ 3]. أما «الاختلاف»؛ فمنه ما هو مذموم، ومنه غير ذلك، قال تبارك وتعالى: (وله آختلاف الليل والنهار) [المؤمنون/ 80]؛ فهذا الضرب من الاختلاف يكون على سنن واحد، وهو دال على علم فاعله. و«التفاوت» هو الاختلاف الواقع على غير سنن، وهو دال على جهل فاعله[102].

أكل وافترس

«الافتراس» معناه في فعل السبع: القتل فحسب، وأصل الفرس: دق العنق، وإخوة يوسف إنما آدَّعوا على الذئب أنه أكله أكلاً، وأتى على جميع أجزائه وأعضائه؛ فلم يترك مفصلاً ولا عظماً؛ لأنهم خافوا مطالبة أبيهم إياهم بأثر باق منه يشهد بصحة ما زعموه؛ فادعوا فيه الأكل ليزيلوا عن أنفسهم الإحراج بالمطالبة! و«الفرس» لا يعطي تماماً هذا المعنى؛ فلم يصلح على هذا أن يعبر عنه إلا بـ«الأكل»[103].

يستبين لنا مما تقدم أن (التسرع في فهم النص القرآني يوقع في أخطاء فاحشة، وعلى المتدبر لكلام الله عز وجل أن يكون كثير التأمل، صاحب أناة، وأن يبحث في كل كبيرة وصغيرة... إن كلام الله عظيم، وليس مثل كلام الناس، ويخاطب العباد جميعاً من موقع الربوبية ذات السلطان على كل شيء، والملك على كل شيء، والقدرة على كل شيء. إن كل حرف، وكل كلمة، وكل فكرة... مختارة فيه بعناية عظيمة، وإتقان بديع، ومن قصر فهمه عن إدراك دلالات كتاب الله سبحانه وتعالى؛ فهو يجازف بقذف تفسيرات تبادرت إلى

[101] ينظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي (1/ 1472).
[102] ينظر: الفروق اللغوية/ ص129.
[103] ينظر: بيان إعجاز القرآن، للخطابي/ ص37، وصفاء الكلمة/ ص75.

ذهنه، وإذا طرحها على سبيل الاحتمال؛ فلا يجزم بها! إن كتاب الله عظيم، وذو دلالات ذوات عمق، والتسرع في تفسيره يوقع في التجني على معانيه!)[104].

إن (القرآن تعبير بياني مقصود؛ أي إن كل كلمة، وكل حرف فيه وضع وضعاً مقصوداً)[105]، وإن الكلمة فيه أشبه بالعضو في جسم الإنسان وهو يؤدي وظيفته حين يكون في موضعه، فإذا زايله إلى موضع آخر؛ تغير حال الجسم، وٱعتل، وٱختل توازنه! بهذا المقياس الحكيم، والقسطاس المستقيم كانت كلمات القرآن الكريم طبقاً لمعانيه؛ بحيث ٱسترعت ألفاظه وفصاحته أنظار العلماء[106]!

إن الآيات القرآنية لتعد شاهداً عدلاً، وتدل دلالة واضحة على أن كل كلمة مختارة فيه تحمل معنى غير الذي تحمله الكلمات الأخرى المعدول عنها التي يظن أنها مرادفة لها. وعلى هذا؛ فكل كلمة فيه لا بد أن تؤدي معنى جديداً، وأن تبعث في النفس إيحاءات خاصة. ومن هنا؛ فإننا على الضد وعلى النقيض تماماً مما جرت به عادة بعض أرباب المعاجم وكثير من أهل اللغة والتفسير من بيان معاني الألفاظ القرآنية ودلالاتها بما يرادفها أو يقاربها في المعنى، وتفسير بعضها ببعض، من دون الالتفات إلى الفروق الدقيقة واللطيفة الكائنة بينها؛ مع أن التتبع الدقيق لألفاظ القرآن الحكيم في سياقاتها المختلفة يشهد بأنه يستعمل اللفظ بدلالة محددة، منضبطة، لا يمكن معها أن يقوم لفظ مقام آخر في المعنى الذي تحشد له المعجمات وكتب التفسير عدداً – قل أو كثر – من الألفاظ المقول بترادفها[107]!

ونحن مع الأستاذ الشيخ محمد عبده الذي قطع دابر الخلاف المحتدم حول هذه المسألة اللغوية الخطيرة التي تشعبت فيها آراء العلماء وتداخلت! يقول: (وأنا لا أجيز لمسلم أن يقول في نفسه أو بلسانه: إن في القرآن كلمة تغاير أخرى، ثم تأتي لمجرد تأكيد غيرها، بدون أن يكون لها في نفسها معنى تستقل به! نعم، قد يكون في معنى الكلمة ما يزيد معنى الأخرى تفصيلاً، أو تقريراً، أو إيضاحاً؛ ولكن الذي لا أجيزه هو أن يكون معنى الكلمة عين معنى الأخرى بدون زيادة، ثم يؤتى بها لمجرد التأكيد لا غير... فإن ذلك لا يقع إلا في كلام من يرمي في لفظه إلى مجرد التنميق والتزويق! وفي العربية طرق للتأكيد ليس هذا منها!)[108].

إن ما جرت به عادة بعض أرباب المعاجم وكثير من أهل اللغة والتفسير من بيان معاني الألفاظ القرآنية ودلالاتها بما يرادفها أو يقاربها في المعنى، وتفسير بعضها ببعض، من دون الالتفات إلى الفروق الدقيقة واللطيفة الكائنة بينها، لهو إجراء تعسفي[109] غير مسموح به ٱلبتة في لغته؛ إذ لم نلمس له أثراً، ولم نر له وجوداً قط في القرآن الكريم؛ لذا كان صدقاً وعدلاً (قرآناً عجباً) [الجن/ 1]، نزل به على قلب النبي العربي

---

[104] قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل/ ص348.

[105] أسرار البيان في التعبير القرآني/ ص1.

[106] ينظر: صفاء الكلمة/ ص240.

[107] ينظر: كتاب العربية الأكبر/ ص12.

[108] تفسير المنار (1/ 39)، بتصرف طفيف.

[109] يقال: عسف فلان في الأمر؛ بمعنى: فعله من دون روية ولا تدبر ولا سبر لأبعاده. ويقال: تعسف فلان في الكلام؛ إذا حمله على معنى لا تكون دلالته عليه ظاهرة ولا مبينة. والإجراء التعسفي، والرأي التعسفي: هو الاعتباطي، غير المسؤول، الذي لا طائل تحته، ولا مبرر له ولا علة! [ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، لعمر (2/ 1498)].

الأمي الكريم الروحُ الأمينُ (بلسان عربي مبين) [الشعراء/ 195]، وكان – حقاً ويقيناً – (دقيقاً في ٱختيار ألفاظه، وٱنتقاء كلماته؛ فإذا ٱختار اللفظ معرفة؛ كان ذلك لسبب، وإذا ٱنتقاه نكرة؛ كان ذلك لغرض! كذلك إذا كان اللفظ مفرداً؛ كان ذلك لمقتضىً يطلبه، وإذا كان مجموعاً؛ كان لحال يناسبه! وقد يختار الكلمة ويهمل مرادفها الذي يشترك معها في الدلالة، وقد يفضل كلمة على أخرى والكلمتان بمعنى واحد، وربما يتخطى في التعبير المحسن اللفظي والجمال البديعي – على قدرِه وحسنه – لغرض أسمى – وهو المحسن المعنوي – وكل ذلك لغرض يرمي إليه! وهكذا دائماً: لكل مقام مقال في التعبير القرآني)[110].

بهذا المقياس الحكيم، والقسطاس المستقيم كانت كلمات القرآن الحكيم طبقاً لمعانيه؛ بحيث ٱسترعت ألفاظه وفصاحته أنظار العلماء الذين بهرهم وخلب أفئدتهم وألبابهم ما أَلْفَوْهُ فيه حتى أَلِفُوهُ من حكمة بالغة، ومن دقة متناهية، ومن أنه قد تحرى في ألفاظه وتعبيراته كل ما هو أحق بالذكر، وأولى بالاستعمال، ودعا إلى الدقة في التعبير والإحكام فيه؛ حتى لا يصح أن يقع لفظ مكان آخر؛ فتضل المعاني بين الاحتمالات، وتتوه المقاصد والأغراض في ضلال الشك والتمويه؛ وذلك لما بين الألفاظ من فروق دقيقة، وبون لطيف في دلالاتها! فيستخدم كل كلمة بدقة متناهية؛ بحيث تؤدي معناها المراد في إحكام شديد، يكاد السامع يؤمن بأن هذا المكان قد وجدت له هذه الكلمة بعينها، وأن كلمة أخرى لا تؤدي المعنى الذي أفادته أختها! ولما تمتاز به بيانات القرآن الكريم من الكمال المطلق في ٱختيار كل لفظ؛ بحيث يؤدي المعنى المراد على أدق وجه وأوفاه بما لا يؤديه أي لفظ آخر، ومن الاختيار الدقيق المحكم للألفاظ المترادفة أو المتقاربة أو المتصاقبة؛ بحيث تميز بين أدق الفروق في المعنى، وبحيث إذا ٱستبدل اللفظ بمرادفه أو مقاربه؛ فقد النص عمق معناه، ودقة تصويره، وجمال جرسه[111]! وصدق الله العظيم؛ القائل: (قل لئن ٱجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) [الإسراء/ 88]، وإن كان دعاة الهدم، وبغاة الفتنة، وكل من في قلبه زيغ من معرض أو مغرض... جادين في دعواهم – التي لم يحفظوا لأنفسهم فيها قدرها، ولم يعرفوا حقيقة حجمها – بأن القرآن حديث مفترى؛ (فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين) [الطور/ 34].

الخـاتـمـة:

1. من دقائق التركيب وأسس البلاغة في القرآن الكريم: وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به، الذي إذا بدل مكانه غيره؛ جاء منه إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة؛ ذلك أن في الكلام ألفاظاً متقاربة في المعنى، يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب، والأمر فيها وفي

[110] صفاء الكلمة/ ص15– 16، وينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية/ ص261– 266.

[111] ينظر: الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم/ ص408.

ترتيبها عند جمع من علماء اللغة بخلاف ذلك؛ لأن لكل لفظة منها خاصية تتميز بها عن صاحبتها في بعض معانيها، وإن كانا قد يشتركان في بعضها الآخر.

2. القرآن تعبير بياني مقصود؛ أي إن كل كلمة، وكل حرف فيه وضع وضعاً مقصوداً، فإذا ما حاولنا تغيير كلمة ما، أو تبديل لفظة من ألفاظ الكتاب العزيز؛ فكأننا غيرنا الكلام وبدلناه، وأخرجنا الكلمة عن صفة الفصاحة، ودلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة، وجردناها من زينة الأسلوب وأسلوب الزينة، وحجبنا شعاعها، وأطفأنا رواءها، وأنضبنا ماءها! وما ذاك إلا لأن الكلمة في القرآن الكريم أشبه بالعضو في جسم الإنسان وهو يؤدي وظيفته عندما يكون في موضعه، فإذا ما برحه وزايله إلى موضع آخر؛ تغير حال الجسم، وآعتل كيانه، وآختل توازنه!
3. تحرى القرآن الحكيم في ألفاظه وتعبيراته كل ما هو أحق بالذكر، وأولى بالاستعمال، ودعا إلى الدقة في التعبير والإحكام فيه؛ حتى لا يصح أن يقع لفظ مكان آخر؛ فتضل المعاني بين الاحتمالات، وتتوه المقاصد والأغراض في ضلال الشك والتمويه؛ فهو ينتقي ألفاظه، ويختار كلماته؛ لما بين الألفاظ من فروق دقيقة في دلالاتها فيستخدم كل كلمة بدقة متناهية؛ بحيث تؤدي معناها المراد في إحكام شديد، يكاد السامع يؤمن بأن هذا المكان وجدت له هذه الكلمة بعينها، وأن كلمة أخرى لا تؤدي المعنى الذي أفادته أختها.
4. آستعمل القرآن الكلمة في موقعها المحدد الذي لا تغني فيه غيرها؛ بحيث لو نزعت كلمة منه أو أزيلت عن وجهها، ثم أدير لسان العرب كله على أحسن منها في تأليفها وموقعها وسدادها؛ لم يتهيأ ذلك، ولا آتسعت له اللغة بكلمة واحدة!
5. كان القرآن دقيقاً في آختيار ألفاظه، وآنتقاء كلماته؛ فإذا آختار اللفظ معرفة؛ كان ذلك لسبب، وإذا آنتقاه نكرة؛ كان ذلك لغرض! كذلك إذا كان اللفظ مفرداً؛ كان ذلك لمقتضى يطلبه، وإذا كان مجموعاً؛ كان لحال يناسبه! وقد يختار الكلمة ويهمل مرادفها الذي يشترك معها في الدلالة، وقد يفضل كلمة على أخرى والكلمتان بمعنى واحد، وربما يتخطى في التعبير المحسن اللفظي والجمال البديعي – على قدره وحسنه – لغرض أسمى – وهو المحسن المعنوي – وكل ذلك لغرض يرمي إليه! وهكذا دائماً: لكل مقام مقال في التعبير القرآني.
6. يختار القرآن الحكيم الكلمة قاصداً لفظها ومعناها معاً، وكل كلمة فيه شاهد على ذلك؛ إذ وضعت كل كلمة في مكانها المحدد الذي لا يجوز أن تكون فيه كلمة غيرها؛ لأن ذلك يخل بالنظام المتكامل الذي بني عليه القرآن؛ لا سيما وقد علمنا أن الكلمة القرآنية في مكانها تحدد؛ بل تجمع كل معطيات عوامل السياق المختلفة في إظهار الدلالة.
7. قد يأتي في القرآن آختيار كلمة في موضع، ثم قد يأتي آختيار مرادف لها في موضع آخر، أو آختيار كلمة مقاربة لها في المعنى في موضع آخر! ولما كان القرآن الكريم في قمة الإعجاز؛ كان على المتدبر له أن يتفكر في سر آختيار كل من الكلمات المترادفة أو المتقاربة، ووضعها في الموضع الذي

آستعملت فيه دون الأخرى؛ فمن شأن التفكر والبحث أن يهدي بعض المتفكرين الباحثين إلى سر ذلك؛ ولو بعد حين من الدهر!

8. مهما أمكن إبعاد فكرة «الترادف» عن الكلمات القرآنية؛ فهو الأحق بأن يكون المنهج لدى تدبر القرآن الكريم، والأقرب إلى الفهم الصحيح؛ ولو كانت الكلمات داخلة في معنى كلي واحد؛ إلا أنه معنى كلي عام صالح لنسب متفاوتة، وبإبعاد فكرة «الترادف» قد يكشف المتدبر لكتاب الله المستويات النسبية للموضوع الواحد، والدرجات التي يقصد الإشارة إليها. وقد يظهر له بعض أغراض تكرير الفكرة في مواضع مختلفة.
9. للتركيب والسياق اللغوي أثر ماض في آستحداث معان جديدة وتخليقها، وتفجير طاقات دلالية كامنة، متولدة عن آتحاد الألفاظ وتعانقها، وللألفاظ كذلك وما تحدثه داخل هذا السياق أو ذاك التركيب من آثار عجيبة في حال تلاقيها أو آفتراقها سواء!
10. المعنى الواحد في القرآن الكريم يؤديه لفظ واحد، فإذا تعددت المعاني؛ كان ذلك مدعاة إلى تعدد الألفاظ إزاءها؛ فقد يتغير في الآية القرآنية لفظ من سياق إلى سياق، ومن سورة إلى سورة إذا ما دعت الحاجة إلى ذلك التغير.
11. كلما آجتمعت الكلمات العربية التوائم في العبارة؛ آفترقت في المعنى، وكلما آفترقت في العبارة؛ آجتمعت أو مالت إلى الاجتماع أو التقارب في المعنى بقدر الإمكان!
12. جرت عادة بعض أرباب المعاجم وكثير من أهل اللغة والتفسير من بيان معاني الألفاظ ودلالاتها بما يرادفها أو يقاربها في المعنى، وتفسير بعضها ببعض، من دون الالتفات إلى الفروق الدقيقة واللطيفة الكائنة بينها! ذلك أن في الكلام ألفاظاً متقاربة في المعنى، يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب. والأمر فيها وفي ترتيبها عند بعض علماء اللغة بخلاف ذلك؛ لأن لكل لفظة منها خاصية تتميز بها عن صاحبتها في بعض معانيها، وإن كانا قد يشتركان في بعضها الآخر.
13. لقد كان لهذا الكتاب المجيد أثره البالغ في اللغة العربية بشتى ألوانها وأفنانها، ومن جميع مناحيها؛ إذ إنه صفى هذه اللغة؛ فأشاع في الاستعمال أصفى ألفاظها جرساً، وأدقها تعبيراً، وأحلاها نغماً، وأورد كل لفظة في مكانها المناسب ببراعة فائقة، وآلتزم الدقة في مراعاة دلالة الألفاظ، وإيرادها مواردها بطريقة تعجز عنها الخلائق.
14. إن كلام الله عظيم، وليس مثل كلام الناس، ويخاطب العباد جميعاً من موقع الربوبية ذات السلطان على كل شيء، والملك على كل شيء، والقدرة على كل شيء. وإن كل حرف، وكل كلمة، وكل فكرة مختارة فيه بعناية عظيمة وإتقان بديع؛ فعلى المتدبر لكلام الله عز وجل أن يكون كثير التأمل، صاحب أناة، وأن يبحث في كل كبيرة وصغيرة. ومن قصُر فهمه عن إدراك دلالات كتاب الله عز وجل؛ فهو يجازف بقذف تفسيرات تبادرت إلى ذهنه، وإذا طرحها على سبيل الاحتمال؛ فلا يجزم بها؛ لأن كتاب

الله عظيم، وذو دلالات ذوات عمق، والتسرع في تفسيره يوقع في التجني على معانيه، ويفضي إلى أخطاء فاحشة!

15. من أخطر وسائل التجهيل المعار: تعمد الغموض في المعاني، وفي دلالات الألفاظ المستخدمة في أساليب التعبير، وتعمد جعلها رجراجة، مائعة، قابلة للتغير والتبدل والانسياح والزحف، ثم آستغلال ذلك بمكر عند الرغبة بالتضليل! بخلاف منهج الإسلام القائم على تحديد المعاني، وتحديد دلالات المصطلحات، وضبط التعريفات ضبطاً تاماً؛ حتى لا يدخل في المُعرَّف ما ليس منه، ولا يخرج عنه ما هو منه! لذا آشترط علماء المسلمين في التعريف أن يكون جامعاً مانعاً؛ أي: جامعاً لكل عناصر المُعرَّف داخل التعريف، مانعاً من دخول ما ليس منه فيه. يستغل المضللون – عن طريق لعبة ذكاء شيطاني فيه مكر كبار – ألفاظاً عامة فضفاضة، قابلة للمط والاتساع؛ حتى آستيعاب دلالة كل منها لأمور متخالفة ومتضادة، ومتناقضة أحياناً!.

المصادر والمـــراجـــع:

- القرآن الكريم.
- أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية: أ.د.رشيد عبدالرحمن العبيدي (ت1428هـ/ 2007م)، مطابع التعليم العالي (بغداد)، 1408هـ/ 1988م.
- الإتقان في علوم القرآن: أبو الفضل جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت911هـ)، دار الإيمان (الإسكندرية)، ط1، 1424هـ/ 2003م.
- أحكام القرآن: أبو بكر أحمد بن علي الجصاص الرازي (ت370هـ)، ضبط وتخريج: عبدالسلام محمد شاهين/ دار الكتب العلمية (بيروت)، ط1، 1415هـ/1995م.
- الأسئلة والأجوبة المفيدة في لطائف بعض الآيات القرآنية: أ.د.فاضل صالح السامرائي/ موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت.
- أسرار البيان في التعبير القرآني: أ.د.فاضل صالح السامرائي/ موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت.
- الأضداد في اللغة العربية: أ.د.محمد حسين آل ياسين/ مطبعة المعارف (بغداد)، ط1، 1394هـ/ 1974م.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: الأستاذ مصطفى صادق الرافعي (ت1356هـ/ 1937م)، مراجعة وضبط: محمد سعيد العريان/ المكتبة التجارية الكبرى (القاهرة)، ط8، 1384هـ/ 1965م.
- الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية: د.محمود السيد حسن مصطفى (أصل هذا الكتاب رسالة ماجستير، بإشراف أ.د.حسن عون)، مؤسسة شباب الجامعة (الإسكندرية)، ط1، 1401/ 1981م.
- الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم: الباحث في القرآن والسنة علي بن نايف الشحود/ موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، الشهير بـ«تفسير البيضاوي»: الإمام أبو الخير ناصر الدين عبدالله بن عمر البيضاوي (ت685، أو691هـ)، دار الكتب العلمية (بيروت)، 1408هـ/ 1988م.
- بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي (ت375هـ)، الدار المصرية (بيروت)، ط1/ 1971م.

- بحوث في المعجمية العربية – المعجم اللغوي: أ.د.عبدالله الجبوري/ المجمع العلمي العراقي، 1425هـ/ 2004م.
- البرهان في علوم القرآن: أبو عبدالله بدر الدين محمد بن محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي (ت794هـ)، تقديم وتعليق: مصطفى عبدالقادر عطا/ دار الفكر (بيروت)، 1421هـ/ 2001م.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: العلامة اللغوي أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيرازي، الفيروزآبادي (ت817هـ)، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط4، 1419هـ/ 1998م.
- بيان إعجاز القرآن «ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن»: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي (ت388هـ)، تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد سلام زغلول/ دار المعارف (القاهرة)، (ب.ت).
- البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، البصري، الشهير بـ«الجاحظ»، (ت255هـ)، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون/ مكتبة الخانكي (القاهرة)، ط7، 1418هـ/ 1998م.
- تاريخ علوم اللغة العربية: الأستاذ طه بن صالح الفضيل الراوي (ت1365هـ/ 1946م)، مطبعة الرشيد (بغداد)، ط1، 1369هـ/ 1949م.
- التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم – دراسة دلالية مقارنة: عودة خليل أبو عودة/ مكتبة المنار (الزرقاء – الأردن)، ط1، 1405هـ/ 1985م.
- التعبير القرآني: أ.د. فاضل صالح السامرائي/ مطبعة بيت الحكمة (جامعة بغداد)، ط1، 1409هـ/ 1989م.
- التفسير والمفسرون: أ.د.محمد حسين الذهبي (ت1397هـ)، دار القلم (بيروت)، ط1، 1407هـ/ 1987م.
- تفسير المنار «تفسير القرآن الحكيم»: السيد محمد رشيد بن علي رضا البغدادي، الحسيني (ت1354هـ/ 1935م)، تخريج وشرح: إبراهيم شمس الدين/ دار الكتب العلمية (بيروت)، ط1، 1420هـ/ 1999م.
- التفسير الوسيط: الأستاذ الشيخ محمد سيد طنطاوي/ دار الشروق (القاهرة)، ط2، 1421هـ/ 2000م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الشهير بـ«تفسير الطبري»: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن غالب الطبري (310هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم/ دار سويد (بيروت)، ط1، 1401هـ/ 1982م.
- الجامع لأحكام القرآن، الشهير بـ«تفسير القرطبي»: أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري، القرطبي، المالكي (ت671هـ)، دار الكتاب العربي (القاهرة)، 1387هـ/ 1967م.
- جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب: أ.د.ماهر مهدي هلال/ دار الحرية (بغداد)، ط1، 1400هـ/ 1980م.
- حاشية الصاوي على الشرح الصغير «فقه مالكي»: أحمد بن محمد الخلوتي المالكي، الشهير بـ«الصاوي» (ت1241هـ)، موقع الإسلام على شبكة الإنترنت.
- الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، النحوي (ت392هـ)، تحقيق: الشيخ محمد علي النجار/ دار الكتب (القاهرة)، ط1، 1371هـ/ 1952م.
- دراسات في فقه اللغة: أ.د.صبحي الصالح (ت1407هـ/ 1987م)، دار العلم للملايين (بيروت)، ط13، 1418هـ/ 1997م.
- درَّة الغوَّاص في أوهام الخواصِّ: أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري، البصري (ت516هـ)، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة)، ط4، 1425هـ/ 2005م.

- دلالة الألفاظ: أ.د.إبراهيم أنيس/ مطبعة أبناء وهبة حسان (القاهرة)، ط1، 1397هـ/ 1977م.
- دور الكلمة في اللغة: ستيفن أولمان/ ترجمة وتعليق: أ.د.كمال محمد بشر/ مكتبة الشباب (القاهرة)، ط10/ 1986م.
- الرسالة: الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي (ت204هـ)، تحقيق: الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر/ مكتبة مُصطفى البابي الحلبي (القاهرة)، ط1، 1358هـ/ 1939م.
- زاد المسير: جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد القرشي، التميمي، الصديقي، البغدادي، المعروف بـ«ابن الجوزي» (ت597هـ)، المكتب الإسلامي (دمشق)، ط1، 1384هـ/ 1965م.
- صفاء الكلمة: أ.د.عبدالفتاح لاشين/ دار المريخ (الرياض)، ط1، 1403هـ/ 1983م.
- صفوة التفاسير: الأستاذ الشيخ محمد علي الصابوني/ إشراف: مركز البحوث والدراسات في دار الفكر (بيروت)، ط1، 1421هـ/ 2001م.
- العربية والبحث اللغوي المعاصر: أ.د.رشيد عبدالرحمن العبيدي (ت1428هـ/ 2007م)، مطبعة المجمع العلمي العراقي (بغداد)، ط1، 1425هـ/ 2004م.
- علم أصول الفقه: الشيخ عبدالوهاب بن عبدالواحد خلاف (ت1375هـ/ 1956م)، دار الإيمان (الإسكندرية)، ط1، 1424هـ/ 2003م.
- علم اللغة: أ.د.حاتم صالح الضامن/ كلية الآداب – جامعة بغداد (قسم اللغة العربية)، ط1، 1409هـ/ 1989م.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشهير بـ«تفسير الشوكاني»: محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني، اليمني (ت1250هـ)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي (القاهرة)، ط2، 1383هـ/ 1964م.
- الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران اللغوي، العسكري (ت395هـ)، تحقيق: سلام الدين القدسي/ دار الكتب العلمية (بيروت)، (ب.ت).
- الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم: أ.د.محمد بن عبدالرحمن الشايع/ مكتبة العبيكان (الرياض)، ط1، 1414هـ/ 1993م.
- فصول في فقه العربية: أ.د.رمضان عبدالتواب/ دار الجيل (القاهرة)، ط2، 1400هـ/ 1980م.
- فقه اللغة: أ.د.حاتم صالح الضَّامن/ دار الحكمة (الموصل)، ط1، 1410هـ/ 1990م.
- فقه اللغة وسر العربية: الإمام أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت429هـ)، دار ومكتبة الهلال (بيروت)، ط1، 1414هـ/ 1993م.
- في اللهجات العربية: أ. د. إبراهيم أنيس/ المطبعة الفنية الحديثة (القاهرة)، ط4، 1393هـ/ 1973م.
- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل: تأملات الأستاذ الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، الدمشقي (ت1424هـ/ 2004م)، دار القلم (دمشق)، والدار الشامية (بيروت)، ط4، 1430هـ/ 2009م.
- قواعد التفسير – جمعاً ودراسة: خالد بن عثمان السبت/ دار عثمان بن عفان (الرياض)، ط1، 1417هـ/ 1997م.
- كتاب العربية الأكبر: أ.د.عائشة محمد علي عبدالرحمن، المعروفة بـ«بنت الشاطئ» (ت1419هـ/ 1999م)، بحث مقدم إلى المؤتمر الخامس للأدباء العرب للمدة ما بين (15– 20) شباط 1965م، مطبعة العاني (بغداد).

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الشهير بـ«تفسير الزمخشري»: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، المعتزلي (ت538هـ)، دار المعرفة (بيروت)، ط3، 1403هـ/ 1982م.
- كلام العرب – من قضايا العربية: د.حسن ظاظا/ دار النهضة العربية (بيروت)، ط1، 1396هـ/ 1976م.
- الكليات «معجم الفروق والمصطلحات اللغوية»: القاضي أبو البقاء أيوب آبن الشريف موسى الحسيني، الكفوي، الحنفي (ت1094هـ)، تحقيق: د.عدنان درويش، ومحمد المصري/ مؤسسة الرسالة (بيروت)، 1419هـ/ 1998م.
- كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة: الأستاذ الشيخ عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، الدمشقي (ت1424هـ/ 2004م)، دار القلم (دمشق)، والدار الشامية (بيروت)، ط2، 1412هـ/ 1991م.
- اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي (توفي قبل سنة 775هـ أو بعد سنة 880هـ)، تحقيق وتعليق: د.علي محمد معوض، وآخرين/ دار الكتب العلمية (بيروت)، ط1، 1419هـ/ 1998م.
- لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري، الإفريقي، المصري (ت711هـ)، دار الفكر (بيروت)، ط1، 1426هـ/ 2005م.
- لغة الضاد «وقائع ندوة دائرة علوم اللغة العربية بيوم الضاد 1997م»، مطبعة المجمع العلمي العراقي ببغداد، 1418هـ/ 1998م.
- اللغة العربية ومكانتها بين اللغات: أ.د.فرحان السليم/ موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت.
- اللغة كائن حي: جرجي بن حبيب زيدان اللبناني (ت1332هـ/ 1914م)، تقديم: مراد كامل/ دار الهلال (بيروت)، (ب.ت).
- اللهجات العربية: د.إبراهيم محمد نجا/ دار الفكر المعاصر (دمشق)، ط4، 1425هـ/ 2004م.
- ما آتفق لفظه وآختلف معناه من القرآن المجيد: أبو العباس محمد بن يزيد بن عبدالأكبر الثمالي، الأزدي، المعروف بـ«المُبرِّد» (ت286هـ)، تعليق: عبدالعزيز الميمني/ دار الكتاب العربي (بيروت)، ط1، 1412هـ/ 1991م.
- مباحث في علوم القرآن: الدكتور الشيخ مناع بن خليل القطان/ مكتبة المعارف (بيروت)، ط3، 1421هـ/ 2000م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها: أبو الفضل جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، الشافعي، المصري (ت911هـ)، شرحه وضبطه: محمد أحمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل أبراهيم، وعلي محمد البجاوي/ المكتبة العصرية (بيروت)، ط1، 1406هـ/ 1986م.
- المشترك اللغوي – نظرية وتطبيقاً: أ.د.توفيق محمد شاهين/ مكتبة وهبة (القاهرة)، ط1، 1400هـ/ 1980م.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن: أبو الفضل جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، الشافعي، المصري (ت911هـ)، دار الإيمان (الإسكندرية)، ط2، 1426هـ/ 2005م.
- معجم اللغة العربية المعاصرة: أ.د.أحمد مختار عبدالحميد عمر (ت1424هـ/ 2004م)، عالم الكتب (القاهرة)، ط1، 1429هـ/ 2008م.

- مفاتيح الغيب، الشهير بـ«تفسير الفخر الرازي»، أو«التفسير الكبير»: أبو عبدالله فخر الدين آبن الخطيب بن محمد بن عمر البكري، الملقب بـ«فخر الدين الرازي» (ت606هـ)، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط1، 1421هـ/ 2000م.
- مقدمة الصحاح: الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار/ تقديم: الأستاذ عباس محمود إبراهيم العقاد (ت1383هـ/ 1964م)، دار العلم للملايين (بيروت)، ط2، 1399هـ/ 1979م.
- مقدمة في أصول التفسير: شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية النميري، الحراني، الدمشقي (ت728هـ)، تحقيق: أ.د.عدنان محمد زرزور/ دار القرآن الكريم (الكويت)، ط3، 1399هـ/ 1979م.
- المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى: حجة الإسلام الفيلسوف أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، الغزالي (ت505هـ)، تحقيق: بسام عبدالوهاب الجابي/ دار الجفان والجابي (قبرص)، ط1، 1407هـ/ 1987م.
- من أسرار العربية في البيان القرآني: أ.د.عائشة محمد علي عبدالرحمن، المعروفة بـ«بنت الشاطئ» (ت1419هـ/ 1999م)، محاضرة ألقيت في جامعة بيروت العربية بتاريخ (12 صفر 1392هـ/ 27 آذار 1972م)، دار الأحد البحتري إخوان (بيروت)، (ب.ت).
- من بديع لغة التنزيل: أ.د.إبراهيم السامرائي/ مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط1، 1404هـ/ 1984م.
- النكت والعيون: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، البغدادي، الشهير بـ«الماوردي» (ت450هـ)، تحقيق: خضر محمد خضر/ مطابع مقهوي (الكويت)، ط1، 1401هـ/ 1981م.